رئيس التحرير **مفيد الجزائري**

10 كانون الثاني/ يناير 2024 10 Januray

No. 133

الطريق الثقافي

altareek althakafi

12

معرض الفن في مواجهة الإبادة

فلسطين صامدة كجذور الزيتون

مقابر الأرقام

الأسرى الشهداء وملفاتهم السريَّة

2

نوري بلخ جيلدن

الحياة ليست غامضة بما يكفي كالروح البشرية

10

فيلم "حتى الغد"

تجسيد محنة المرأة في مجتمعات الشرق

11

المختبر الشعري

قصائد كمبودية

توقيعات السجن

مفازات الطريق

14

"واتساب عراقي"

حوار المعرفة والحكمة في كتاب

23

18

حقوق الإنسان

المناضلة الفلسطينية خالدة جرّار

فن اكتشاف الإمكانيات في سجون العدو

كانت المناضلة اليسارية خالدة جرار قد أُعتقلت من منزلها في رام الله في 31 أكتوبر 2019. وخلال فترة سجنها الأخيرة، توفيت إحدى ابنتيها سهى عن عمر يناهز 31 عامًا. على الرغم من الحملة الدولية للسماح لخالدة بحضور جنازة ابنتها يوم 13 تموز/ يوليو 2021، رفضت الحكومة الإسرائيلية جميع الطلبات والطعون. لكنّها تمكنت في النهاية من تهريب رسالة حزينة وباكية موجهة إلى ابنتها سهى لتكون بمثابة وداع أخير. (نص الرسالة في الصفحة 19). خالدة جرار هي واحدة من الأمثلة العديدة التي استلهم منها المقاومون الفلسطينيون صمودهم ومقاومتهم داخل السجون الإسرائيلية، حيث وجدوا فرصًا للمقاومة، رغم احتجازهم، ورغم الألم الجسدي والتعذيب النفسي.

الروائي العراقي طه الشبيب

التجربة الأدبية مأزق وجودي يعصف بالإنسان

8

كتاب "رؤيتنا للتحرير"

المثقفون الفلسطينُيون

الكتابة في المساحات الفارغة

23

مقترحات نصّيّة..

قلم الباركر.. أساطير الشعر والذكريات

16

أكثر شاعر لُحنت قصائده

هاينرش هاينه الشاعر الغنائي

6

في المعنى

للديك موريس الحق في الصياح

24

"خُزامى" سنان أنطون

رواية الأوطان المستعادة

4

321412341239

قداس رأس السنة في مدينة اور الآثارية

الطريق الثقافي ـ وكالات

أقام وفد مكون من مجموعة من رجال الدين المسيحيين قداسًا لرأس السنة الميلادية في مدينة اور الآثارية، وتكون الوفد من مجموعة من كبار الرهابنة الآباء الدومينيكان في العالم برئاسة السيد جيرار تيموني ونائب الرئيس الن ارنولد يرافقه الرئيس الاقليمي للآباء الدومنيكان في فرنسا السيد نيكولا تيكسية ومستشار المجلس البابوي لحوار الاديان السيد امير ججي ورئيس الاباء الدومنيكان في بغداد السيد فيليب خوشايا، وقد أقيم القداس في بيت النبي ابراهيم عليه السلام.

وتأتي الفعالية تكريسًا لتعايش الأديان بعد زيارة البابا فرنسيس لمدينة أور التاريخية مؤخراً حيث تجسدت المعاني الحقيقية للتسامح والتعايش، ومن أجل جعل المدينة
قبلة للحجاج من مختلف الطوائف والأديان.

صدور كتاب "عصر نينوى الطبقة الخامسة"

الطريق الثقافي ـ وكالات

صدر عن قسم النشر في دائرة الدراسات والبحوث والتدريب الآثاري في الهيئة العامة للآثار والتراث كتاب "عصر نينوى الطبقة الخامسة ـ دراسة اثارية" من تأليف أ.د. قصي صبحي عباس الجميلي، ضمن خطة القسم للعام 2023. ويسلط الكتاب الضوء على ثقافة نينوى التي تعد من ثقافات ما قبل التاريخ التي شهدتها بلاد الرافدين وشمال شرق سوريا، وارتبط وجودها الأساس بفخار نينوى الطبقة المكتشفة من قبل المنقب البريطاني ماكس مالوان أثناء تنقيبه في تل قوينجق في الأعوام 1929 ـ 1932، ليمثل بعد فترة من اكتشافه ثقافة شمال بلاد الرافدين وشمال شرق سوريا.

الورشة التدريبية لمنتدى الخبراء العراقي الألماني

الطريق الثقافي ـ وكالات

بالتعاون مع الهيئة العامة للآثار والتراث في محافظة المثنى مدينة الوركاء الأثرية، وضمن البرنامج التدريبي لمنتدى الخبراء العراقي الألماني، أنتهت أعمال الورشة التدريبية الثانية للدورة السادسة التي أقامها قسم الشرق في معهد الآثار الألماني بشأن التراث الثقافي العراقي والتي تهدف إلى زيادة المعرفة لدى كوادر الهيئة في مجال توثيق وصيانة المباني باستخدام الوسائل والبرامج العلمية الحديثة والإطلاع على أعمال الصيانة والترميم التي تشهدها مدينة الوركاء.

نمط

ممارسات إسرائيل المشينة في احتجاز جثامين الفلسطينيين

مقابر الأرقام.. الأسرى الشهداء وملفاتهم السريَّة

إن حرمان الفلسطينيين من حقهم في الحداد على أحبائهم هو مظهر آخر من مظاهر تجريد إسرائيل للفلسطينيين من إنسانيتهم، وإدامة عذاب الملايين الذين يعيشون تحت نير الاحتلال ووحشيته.

ممرضة فلسطينية
من الضفة الغربية

إعداد: هبة أبو الغزول

تميز دولة إسرائيل نفسها من بين جميع الدول بإخضاع الضحايا الفلسطينيين الأحياء والأموات على السواء، لأعمال وحشية لا مثيل لها، تتجاوز وحشية حتى أكثر الأنظمة الاستعمارية عنصرية.

إنّ مواصلة إسرائيل احتجاز جثامين مئات الشهداء الفلسطينيين والعرب الذين ضحوا بحياتهم في مختلف مراحل المقاومة الفلسطينية. بالإضافة إلى ذلك، فإن رفات السجناء الذين تعرضوا للتعذيب حتى الموت ودُفنوا في مقابر سرية، تُعرف باسم "مقابر الأرقام"، يتم الاحتفاظ بها في مناطق عسكرية مغلقة، لا يمكن للجمهور الوصول إليها.

وتقع أربع مقابر مكتشفة حديثاً ضمن أراضي العام 1948. من بينها مقبرة "جسر بنات يعقوب" في منطقة عسكرية عند التقاء الحدود الفلسطينية اللبنانية السورية، وتحتوي رفات مئات الضحايا الفلسطينيين واللبنانيين الذين قتلوا في حرب العام 1982، وتضم نحو 500 قبرا. بينما تقع مقبرة "بئر المكسور" (جسر دامية) في منطقة عسكرية مغلقة تقع بين أريحا وغور الأردن، وتتميز ببوابة حديدية تحمل لافتة باللغة العبرية: "مقبرة ضحايا العدو"، وتحتوي على ما يقرب من 100 قبر. أما المقابر الأخرى فهي: مقبرة "ريفيديم" في وادي الأردن، ومقبرة "الشحيطة" في قرية وادي الحمام.

ملفات سريَّة

إنّ "مقابر الأرقام" هذه عبارة عن مجموعة من مواقع الدفن السريَّة المحاطة بالحجارة، وتفتقر إلى العلامات التوضيحية والتعريفية المناسبة، ما عدى لوحات معدنية تحمل ارقامًا محددة ومبهمة، لا تعرف كنهها إلّا السلطات الإسرائيلية، وتبدو بمثابة إحالات إلى ملفات سريَّة مرقمة تحتوي على المعلومات الخاصّة بالضحية، تحتفظ بها تلك السلطات وتحجبها عن الأهالي والعامّة، ومن هنا جاءت تسميتها بـ "مقابر الأرقام"، التي تستخدم أرقاما بدلا من أسماء الشهداء، حيث يتوافق كل رقم مع ملف فردي تحتفظ به الجهات الأمنية المسؤولة. وتؤكد منظمات حقوق الإنسان أن هذه المقابر تعود إلى تاريخ قيام إسرائيل، وقد استُخدمت بشكل مكثف منذ بدء المقاومة الفلسطينية المسلحة في حزيران/ يونيو من العام 1967.

معاملة مهينة

إنّه من الصعب على منظمات حقوق الإنسان تحديد العدد الحقيقي ومواقع "مقابر الأرقام" تلك بدقة، ناهيك عن هويات المدفونين فيها. وتشير تقارير صحفية إسرائيلية إلى أن هذه المقابر تفتقر، في كثير من الأحيان، إلى الحدّ الأدنى من المواصفات المناسبة للدفن البشري، كما أن طرق معاملة جثث الشهداء مهينة. في كثير من الحالات، يتم دفن الشهداء دون عزل مناسب، وقد يتم دفن جثث متعددة في القبر نفسه، وأحيانًا تحتوي تلك القبور على جثامين رجال ونساء معا.

المقابر عبارة عن مجموعة من مواقع الدفن السريَّة المحاطة بالحجارة، وتفتقر إلى العلامات التوضيحية المناسبة، ما عدى لوحات معدنية تحمل ارقامًا محددة ومبهمة، لا تعرف كنهها إلّا السلطات الإسرائيلية.

تبدو الأرقام بمثابة إحالات إلى ملفات سريَّة مرقمة تحتوي على المعلومات الخاصّة بالضحية، تحتفظ بها تلك السلطات لأغراضها السريَّة وتحجبها عن الأهالي والعامّة

ويُعتقد أن إنشاء "مقابر الأرقام" هو بمثابة تغطية للجرائم المرتكبة بحق الشهداء المختطفين، بما في ذلك التعذيب حتى الموت. وبحسب مصادر مطلعة، فقد تم استخدام العديد من الشهداء المحتجزين كقطع غيار بشرية، حيث سُرقت أعضائهم لإجراء تجارب طبية داخل المستشفيات الإسرائيلية، مما أضاف دافعًا آخر لاحتجاز جثثهم.

الأسرى الشهداء

ويعتقد أهالي «الأسرى الشهداء»، كما يحلو للفلسطينيين تسميتهم، أن أبنائهم وبناتهم معرضون لهجوم الضواري أو التهامهم من قبل الكلاب الضالة أو الوحوش أو الطيور في تلك المقابر المجهولة والمعزولة بعيدًا عن الأنظار، ومن دون حماية أو مراقبة، أو حتى عمق مناسب. ويُعتقد على نطاق واسع أن الجيش الإسرائيلي يقوم بدفنهم في حفر ضحلة مخبأة تحت شعار وزارة الصحة الإسرائيلية، أو في أكياس بلاستيكية سوداء من دون شروط الدفن المناسبة. إن هذه الجرائم التي ارتكبها العدو الصهيوني بحق الشهداء الفلسطينيين تعكس خوفه من فضح ممارساته الإجرامية ضد شعب يناضل من أجل الحرية وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

إن حرمان الفلسطينيين من حقهم في الحداد على أحبائهم هو مظهر آخر من مظاهر تجريد إسرائيل للفلسطينيين من إنسانيتهم، كما ذكرنا. إنّ عودة جثامين ورفات الفلسطينيين إلى وطنهم، والسماح لهم بلم شملهم مع عائلاتهم ودفنهم بشكل لائق، تظل قضية مصيرية تستحق الاهتمام على المستوى الوطني والإنساني والدولي.

إنها قضية تتطلب موقفًا وطنيًا ودوليًا موحدًا، وعرضها على محكمة الجنايات الدولية، فهي قضية لا تقل أهمية عن القضايا الكبرى الأخرى كقضية تحرير الأسرى وقضية حق العودة للفسطينيين.

أرقام وحقائق تاريخية

يُدفن الضحايا بأعماق ضحلة بعد أن يوضعوا في أكياس بلاستيكية، مع عدم تشخيص الجثث بالفحص الطبي، ومن دون تصوير تلك الجثامين، أو حتى إصدار تصريح دفن من ضابط المنطقة الإسرائيلي، وبعضها يُدفن من دون أن ترفق معه بطاقة حديدية يكتب فيها اسم الشهيد ورقمه وتاريخ استشهاده، وقد أدى هذا الإهمال والتعامل غير الإنساني إلى صعوبات في التعرف على جثامين بعض الشهداء لدى استخراجها بعد سنوات طويلة، وأنّ جيش الاحتلال لجأ إلى تسجيل أرقام الشهداء على الأكياس البلاستيكية التي توضع فيها الجثامين بواسطة قلم «فلوماستر»، الذي سرعان ما يمحى حبره بفعل العوامل البيئية في التربة، كما أن اللافتات الحديدية التي تحمل رقم الشهيد والموضوعة على قبره، غير مثبتة بما فيه الكفاية، ويمكن أن تتحرك من مكانها بفعل العوامل الجويّة، والأخطر من ذلك دفن الجثامين في مقبرة "جسر بنات يعقوب" في التربة مباشرة، من دون وجود طبقة من الباطون تحميها من الانجراف. وقد أدت مياه الأمطار إلى انجراف بعض القبور، وإلى تداخل عظام الشهداء في أكثر من قبر، وتعد المقابر، حسب قرار الجيش، مناطق عسكرية مغلقة لا يسمح الدخول إليها إلا بقرار من قائد المنطقة.

مقابر الارقام وتجارة الأعضاء

في العام 2009 شن الإعلام الإسرائيلي هجومًا واسعًا على الصحفي السويدي دونالد بوتسروم الذي كتب مقالة في صحيفة المساء السويدية، يؤكد فيها على أن دولة الاحتلال وعصاباتها تقوم بعمليات الإتجار بأعضاء الشهداء، وخص في المقال الولايات المتحدة الأمريكية التي تقوم بسرقة أعضاء الشهداء في مقابر الارقام.

القانون الدولي الإنساني

تُعَد جريمة احتجاز شخص ميت أعتداء سافرًا على مواد الإعلان العالمي للامم المتحدة حول الاختفاء القسري الذي يعد تلك الأعمال جريمة ضد الإنسانية، واعتداء واضح وسافر على اتفاقيات جنيف حيث ان جثامين الشهداء والمفقودين لها حماية خاصة تكفلها تلك الاتفاقيات وتكفل الحق أيضا للميت وليس فقط للإنسان الحيّ حيث ان دولة الاحتلال قامت بالتوقيع على الاتفاقيات الاربعة،

من الوثيق التي تقوم إسرائيل بانتهاكها:
اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب.
اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب.
الملحق (البروتوكول) الأوّل الإضافي إلى اتفاقيات جنيف، 1977.

الهيئة العربية للمسرح تطلق مهرجان المسرح العربي في بغداد

الطريق الثقافي ـ وكالات

أكد غنام غنام، مسؤول التدريب والتأهيل في "الهيئة العربية للمسرح"، أن فعاليات الدورة الـ 14 من "مهرجان المسرح العربي" سيتقام في بغداد إبتداءً من العاشر من كانون الثاني/ يناير الجاري، تحت شعار "نحو مسرح عربي جديد ومتجدد"، بالتعاون مع "نقابة الفنانين العراقيين"، ودائرة السينما والمسرح في وزارة الثقافة العراقية، بمناسبة "يوم المسرح العربي". وأضاف غنام: "نسعى إلى ترسيخ صيغ مسرحية مهمة يبدعها شباب المسرح العربي من أجل إعطاء روح جديدة"، مبيناً أن "650 مسرحياً عربياً تجمعهم الهيئة في بغداد". وأشار المسؤول في "الهيئة العربية للمسرح" أن غزة "ستكون حاضرة في المهرجان لأنها "قدمت لنا كرامتنا وعنفواننا وتراجيديا جديدة في التاريخ العربي والفلسطيني تحديداً".

منظمة اليونسكو تمنح "حماية معززة" لدير القدّيس هيلاريون في غزة

الطريق الثقافي ـ خاص

منحت منظمة اليونسكو ما أسمته "حماية معزّزة مؤقتة" لدير القديس هيلاريون في قطاع غزة، وهو أعلى مستوى من الحصانة ضد الهجمات التي حدّدتها اتفاقية لاهاي للعام 1954. تأتي هذه الخطوة، بعد تعرّض الموقع لأضرار أثناء العدوان المستمر منذ ثلاثة أشهر في غزة. وتقدّم الوفد الدائم لدولة فلسطين لدى اليونسكو، بطلب حماية الموقع، الذي تشرف عليه وزارة السياحة والآثار الفلسطينية. ويُعَد دير القديس هيلاريون، وهو جزء من تل أم عامر، المدرج على قائمة اليونسكو للتراث المبدئي منذ العام 2012، أحد أقدم الأديرة في المنطقة، ويقع في قرية النصيرات الساحلية، على بعد 8.5 كيلومتر جنوب مدينة غزة، وهو أحد المواقع الأثرية المهمّة. وقالت وكالة الأنباء "وفا"، إن العمل جار منذ أربع سنوات لإحياء دير القديس هيلاريون والكشف عن مقتنياته الأثرية، إذ يضمّ أنقاض كنيستين، ومكاناً للدفن، وقاعات للعمادة والطعام، فضلاً عن الأرضيات المصنوعة من الحجر الكلسي، والفسيفساء المُلوّنة والمزينة بالرسوم والنقوش المختلفة، والبلاط الرخامي، وكذلك حمامات بخارية كبيرة ونافورة، إلى جانب الديماس والمصلّى وغرف الرهبان والساقية.

خرق

الحركة العالمية التقدمية لمقاطعة إسرائيل BDS

هي حركة يسارية تقدمية عالمية تسعى لتفعيل قرارات مقاطعة دولة إسرائيل وسحب الاستثمارات المالية والتقنية منها ومعاقبتها، لما اقترفته وتقترفه من جرائم بحق الشعب الفلسطيني ومصادرة أراضيه وتجريف مزارعه، ويُرمز لها بالمختصر (BDS). تضع الحركة استراتيجية واسعة ذات توجه مستقبلي، كما مذكور في أدبياتها التي تقول ديباجتها: "إن ما صيغ هنا في نار النضال هو لمحة من رؤية مفعمة بالأمل وواقعية لمستقبل فلسطيني قابل للحياة، يتّسم بالحريّة والمساواة والعدالة وحق العودة للاجئين، وبما يمكن الفلسطينيين من تركيز جهودهم للمشاركة في تقرير مصيرهم، على الرغم من مقاليع وسهام الصهيونية الشنيعة في وطنهم. وتستقي الحركة استراتيجيتها من طروحات الفيلسوف السياسي الأعظم في القرن العشرين، الديمقراطي الشيوعي الإيطالي المناهض للفاشية، أنطونيو غرامشي".

حدث في مثل هذا اليوم

ولادة ووفاة الشاعر بدر شاكر السيّاب

ولادة ورحيل الشاعر بَدْر شَاكِر السَّيَّاب (25 كانون الأول/ديسمبر 1926 - 24 كانون الأول/ ديسمبر 1964). ولد في قرّية جِيْكُّور في محافظة البصرة جنوب العراق، ويعد أحد مؤسسي الشعر الحر في الأدب العربي.

توفيت والدته عندما كان عمره ست سنوات، وكان لوفاتها أعمق الأثر في حياته. أتمّ دروسه الابتدائية في مدرسة (باب سليمان) التي كانت تتكون من أربعة صفوف وتبعد حوالي 10 كيلو متر عن منزله ثم انتقل إلى مدرسة (المحمودية) وتبعد عن (باب سليمان) 3 كيلومترات اضافية، بعدها انتقل إلى مدينة البصرة حيث تابع دروسه الثانوية، ثم انتقل إلى العاصمة بغداد حيث التحق بدار المعلمين العالية، واختار لنفسه تخصص اللغة العربيّة وقضى سنتين في تعلم الأدب العربي قبل أن ينتقل في العام 1945 من الأدب العربي إلى دراسة اللغة الإنكليزية.

دعاوى قضائية بشأن لوحات نهبها النازيون

الطريق الثقافي ـ وكالات

وعدت وزيرة الثقافة الألمانية كلوديا روث بإعادة اللوحات الفنية التي سبق وأن نهبها النازيون. وأوضحت الوزيرة، أنه تم إعادة أكثر من 7000 عمل فني إلى الورثة يعود تاريخها إلى العام 1998، ولكن لا يزال هناك جزء صغيرا من الأعمال الفنية التي سرقها النازيون أو باعها اليهود تحت الإكراه، وفقا لما ذكره موقع ارت نيوز بيير.

ولا تزال هناك نزاعات قضائية بشأن اللوحات التى نهبها النازيون، بما فيها الدعوى تتعلق بلوحة بيكاسو "مدام سولير" التى رسمها في العام 1903، بعد أن طالب ورثة المصرفى اليهودي بول فون مندلسون بارتولدى بإعادتها لهم، ولاتزال هذه الدعوى موضع بحث منذ سنوات، بينما أعيدت لوحة رسام القرن السادس عشر الهولندي كورنيليس فان هارلم "آدم وحواء" إلى مارى فون ساهر الوريثة الوحيدة لتاجر الأعمال الفنية الهولندي جاك جودستيكر، وتعُرض حاليًا في متحف رولان الفرنسي.

إن مسألة التعافي تبدو ضرباً من المحال، وهو ما يسمح للكاتب باستعراض قضية الانتماء كما لو أنها دمغةٌ أبدية لا سبيل للشفاء منها

"خُزامى" سنان أنطون

رواية الأوطان المستعادة

غنوة فضة

رواية الكاتب العراقي سنان أنطون (1967) الجديدة حملت عنوان "خزامى"، الصادرة عن منشورات الجمل 2023، وهي رواية عن الذاكرة وإليها، وكما في رواياته السابقة، تجعل من العراق مادّتها الأثيرة، ولو تداخل الشأن الشخصي بالحدث السياسي والعام، إلا أن مسألة البلاد المنكوبة بالديكتاتورية والغزاة، تبقى الحدث الأكبر والموجه حتى النهاية.

قد يكون العنوان المثير للفضول حاملاً للدلالات ويخفي في طياته فكرة ما يحمل المرء على استرجاع الذكريات القديمة. فلا العلاج، ولا جلسات التداعي استطاعت أن تحفز ذاكرة الطبيب العجوز سامي البدري، ولا طريق بدا واضحاً لاستعادة بغداد الغائرة في نقطة قاتمة من ذاكرته. لربما كان للموسيقا قدرة على اختراق تلك الحواف الضبابية، إلا أنه وبعد رحلة الخوف والهرب من بلاد فتكت بأخيه وزوجته، ومن بعده اللجوء إلى أميركا حيث ابنه وزوجته، تحولت ذاكرته إلى ما يشبه قاربا مثقوباً، ودفعه هول الأحوال التي عاشها إلى فقدان الأمل في التماسك واستعادة ذكرياته المنسابة عبرها. "أريدَ أروّح بغداد..." هكذا نراه طوال النص يطالب بالعودة، بينما يعيش الاغتراب في بروكلين. تلك الحيرة القائمة بين عادية الحدث ورمزيته أيضاً، تجعلنا ندرك أن الاغتراب سيكون سمة الحكاية، وهو ما يقود إلى التساؤل عن مدى مغادرة الأفراد لأوطانهم، ومكوثها في ذواتهم من غير أن يكون للجوء سطوة على فقدانها.

يميل صاحب "وحدها شجرة الرمان" إلى تقنية السرد المتناوب، ويحكي قصةَ عمر غامز؛ وهو جنديّ عراقي يجسد، إلى جانب قصة سامي البدري، ما يشير إلى تاريخ البلاد الملطخ بالدم، والديكتاتورية التي اغتالت شباناً اتُّهموا بالخروج عن القانون. بتلك الفوقية التي تمارسها الأنظمة على مواطنيها، تُفتتح القصة بوصول عمر إلى أمريكا لاجئاً. شابٌّ بروح مستسلمة وأذنٍ مصلومة؛ وهي إشارةٌ إلى تلك العقوبة التي طُبقت على الجنود العراقيين الهاربين من الخدمة العسكرية. يحاول عمر الانغماس في العمل، إلا أن محاولاته للنسيان تبوء بالفشل، ولا سبيلَ أعانه على الخلاص من تلك الكوابيس، إذ تلاحقه مأساته في نومه. هكذا نراه تائهاً بأذنه المشوهة، من غير أن يساعد تنقله بين الولايات على اندمال جرحه على أهله الباقين في العراق.

يمسي الفقد دافعاً لاستدعاء المفقود، فالجندي الذي عانى من سطوة الطغيان، والطبيب الذي تعصف به ذاكرةٌ عالقة في مستشفيات الديكتاتورية، يرغبان باستعادة ذكرياتٍ أليفة، وحانية

يمسي الفقد دافعاً لاستدعاء المفقود، فالجندي الذي عانى من سطوة الطغيان، والطبيب الذي تعصف به ذاكرةٌ عالقة في مستشفيات الديكتاتورية، يرغبان باستعادة ذكرياتٍ أليفة، وحانية، إلا أن مسألة التعافي تبدو ضرباً من المحال، وهو ما يسمح للكاتب باستعراض قضية الانتماء كما لو أنها دمغةٌ أبدية لا سبيل للشفاء منها. وفي وقت نجد أن كل ما يفعله عمر يصب في مصلحة النسيان، نقع على إخفاق محاولة سامي البدري وابنه ومعالجيه على تذكر حياته السابقة. كلاهما ضحيتان للظلم، وكلاهما خرج من البلاد طلباً للنجاة، إلا أن تلك المفارقة بين النسيان والتذكر هي الدعامة التي تسند النص حتى آخره، ومن هنا يأتي تفسير العنوان الذي استُهل به العمل. فالخزامى، وكما تظهر في المشهد الختامي، هي المحاولة الأخيرة لدفع سامي على استعادة ذاكرته. وعطرُها، هو عطر زوجته مآرب، وموتها كضحية من ضحايا التفجيرات في بغداد، دفعه ليقضي أيامه في عالمٍ قوامه الحزن والأسى. بينما يتركُ عطر الخزامى القادم من إحدى المزارع الأمريكية، أثراً يدفعه في المشهد الأخير على تذكر وجه عمر؛ الشاب الذي أجبره الضباط على صلم أذنه، تلك المأساة المريرة دفعته ليحيا شعوراً عارما بالذنب، ومن غير أن يقدر على تبرئة نفسه. مثلما يسترجع عمر كل ما حدث، حين يلتقي سامي يعترف بفشل قدرته على النسيان، في محاولة للقول بمرارة التذكر واستحالة الخلاص من بلاد زرعت في صدورهم جرحاً صعب الاندمال.

"كانت إيزابيلا قد بدأت تسأله مؤخراً أكثر عن طفولته وماضيه فيضطر أحياناً إلى اختلاق تفاصيل جديدة، وأخذ يشعر أن الحفرة التي حفرها تصبح أعمق. قال لها: لم تكن سعيدة، وأنه لا يحب تقليب الدفاتر القديمة". وعلى الرغم من بُعد فضاء الرواية ودوران الأحداث في أمريكا، إلا أننا لا نغادر العراق، ولا تغادر كذلك الأمر كلاً من سامي وعمر، بل تلك المحاولات للتذكر والنسيان بكل قسوتها، وكل محاولات التعافي تجعلهما عالقَين. فلا النسيان جلب الراحة، ولا استعادة الماضي وفر لهما السكينة.

هي مأساة أولئك البسطاء الذين أخضعتهم الحروب وعاشوا تفاصيلها كاملة. لذا نجد عمر طوال النص يحاول أن يختلق لنفسه وطناً مزيفاً، ومن غير أن يخبر أحداً أنه من العراق، يجترح لنفسه جنسية وهمية آملاً في أن تنسيه مناداته "بالبورتوريكي" انتماءه إلى بلاد أذلتهُ ودفعته للهرب. إلا أنه لا يجد الراحة في النهاية، بل يزداد مع الوقت شعوره بالضياع، وكلما زاد من كذبه حيال وطنه، عاش شعوره بزيف ما يحياه بعيداً عن الحقيقة. ما يجعل الرواية رواية البحث عن أوطانٍ بديلة، وحكاية الأوطان المستعادةً في الغربة، مع إدراك حقيقة مفادها أن الذاكرة تبقى خط الدفاع الأخير أمام محاولات المرء على استئصال وطنه الغائر فيه. "وطن أي وطن وأنت لا تملك شبراً أو شيئاً فيه؟ حتى جسدك الذي تكوّن في رحم أمك لا تملكه أنت. الحكومة هي التي تملك جسدك، وتسمح لك، لفرط كرمها، أنت تعيش فيه. وكأيّ مالكٍ جشعٍ، فهي تفعل بجسدك ما تشاء متى شاءت. تلقي به، مع مئات آلاف الأجساد، في أتون الحرب الخاسرة، تحرمه من الطعام وتجيعه كي تسمن هي وأولادها".

سنان أنطون في سطور

شاعر وروائي وأكاديمي ولد في بغداد عام 1967. حصل على بكالوريوس في الأدب الإنكليزي من جامعة بغداد. هاجر بعد حرب الخليج 1991 إلى الولايات المتحدة حيث أكمل دراساته وحصل على الماجستير من جامعة جورجتاون عام 1995 والدكتوراه في الأدب العربي من جامعة هارفارد بامتياز عام 2006.

نشر روايته الأولى"إعجام" عام 2003 وتُرجمت إلى الإنكليزية والنرويجية والبرتغالية والألمانية والإيطالية . نشر روايته الثانية "وحدها شجرة الرمان" عام 2010 وترجمها بنفسه إلى الإنكليزية وفازت الترجمة بجائزة بانيبال-سيف غباش عام 2015 لأفضل ترجمة أدبية من العربية. نشر روايته الثالثة "يا مريم" عام 2012 ووصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية. وصدرت ترجمتها الإسبانية عام عن دار نشر ترنر في مدريد عام 2014 صدرت روايته الرابعة "فهرس" في بداية عام 2016. له مجموعتان شعريتان: "موشور مبلل بالحروب" (ميريت، القاهرة، 2004) و"ليل واحد في كل المدن" (دار الجمل، بيروت، 2010). صدرت ترجمة لأشعاره بالإنكليزية عن دار هاربر ماونتن برس عام 2007 بعنوان .The Baghdad Blues وترجم شعره إلى الإيطالية والألمانية والتركية والإسبانية والهندية. أخرج فلماً وثائقياً عن العراق بعد الغزو بعنوان About Baghdad (حول بغداد) صوّر في بغداد في تموز، عام 2003.

ترجم أكثر من مئتي قصيدة من الشعر العربي الحديث إلى الإنكليزية ورُشِحَت ترجمته لقصائد محمود درويش لجائزة بين Pen للترجمة عام 2014. ترجم "في حضرة الغياب" لمحمود درويش إلى الإنكليزية (دار آرشيبيلاغو، 2011) وفازت الترجمة بجائزة أفضل ترجمة أدبية في الولايات المتحدة وكندا من جمعية المترجمين الأدبيين لذلك العام. كما ترجم مختارات من أشعار سعدي يوسف صدرت بعنوان "أيهذا الحنين يا عدوي" (دار غريوولف، 2012). عمل أستاذا للأدب العربي في كلية دارتموث في2003 ـ 2005 ويعمل أستاذاً للأدب العربي في جامعة نيويورك منذ العام 2005. نشر العديد من المقالات والدراسات الأكاديمية عن الشعر العربي الحديث.

* كاتبة من سوريا

الافتتاحية

المهرجانات الثقافية بين المحتوى والنتائج

تتزايد يومًا بعد يوم كثرة انعقاد المهرجانات ـ الثقافية ـ في العراق تحت مسميات شتى، تبدأ من مهرجان النخيل ولا تنتهي بمهرجانات الشعر الشعبي، مرورًا بمهرجانات المسرح والسينما والفنون التشكيلية والأزياء والتراث الشعبي والعمارة والشعر والسرد والنقد واللغات والأبحاث الأكاديمية وغيرها، بينما يفتقر بعضها، وهو أكبرها وأكثرها كلفة، إلى المحتوى المحدد أو الهويّة الواضحة، كما جرى الأمر مع ما سُمي "مهرجان العراق" الذي لم يعرف أحد إن كان مهرجانًا لعروض الأزياء، أم لتكريم أصدقاء العراق في الخارج، أم لنثر الأموال وحسب.

وتُرصد لأغلب هذه المهرجانات ميزانيات ضخمة، ويجري الإعداد لها على مدى أشهر طويلة، من دون استراتيجية ثقافية أو فكرية واضحة أو أهداف محدد، وعلى الأرجح، تُعقد مثل هذه المهرجانات من أجل خلق صدى أو مردود إعلامي محدود، سرعان ما يتبدد ويطويه النسيان، من دون أن يترك أي بصمة أو تأثير إجرائي حقيقي وعملي على أرض الواقع.

لعل من أسواء التقاليد التي ورثها نظام الحكم الجديد في العراق من النظام السابق، هي النظرة للثقافة ووظيفتها، والسعي للبهرجة الإعلامية على حساب المضامين الهادفة، فقد كانت المهرجانات، أيّام النظام السابق، تُعقد بمثل تلك الطريقة الباذخة، وتُصرف لأجلها الأموال الطائلة، ويُدعى لها مجموعة من الشخصيات التي اعتادت العيش على هامش مثل تلك المهرجانات، سواء في العراق أو الخليج، لتحضر إلى بغداد، وتقيم بأفخم الفنادق، وتأكل في أفخم المطاعم، امام أنظار المثقفين العراقيين المحرومين الذين كانوا يعضون على جوعهم وعوزهم ويتكابرون بإباء، وهم يتمثلون الشبع والإحساس بالأمان والحريّة المصطنعة التي (يوفرها) النظام آنذاك.

لعله من المؤسف والغريب والذي يبعث على الدهشة، أن يحذوا حكام العراق الجدد والأحزاب الحاكمة ومن يمثلهم في الحكومة، حذو النظام السابق في استراتيجيته الإعلامية الشوهاء، فزاهم يتسابقون لتمويل مثل تلك المهرجانات، من دون أن يطرحوا سؤالًا واحدًا على أنفسهم، بشأن جدواها، وما ستتركه من أثر على أرض الواقع.

بالتأكيد لا يختلف أثنان على أهمية تنظيم المهرجانات الثقافية والفنية، ودورها في ترصين الفعالية الثقافية، لكن شرط أن تكون مدروسة ومهنية ومحددة الأهداف والغايات بوضوح، كما أن كثرتها تفقدها المصداقية والهيبة والاختصاص، وعلى العكس من ذلك، فأنّ تقنينها، وحصرها في اختصاص محدد، يزيد من أهميتها الإجرائية والبحثية، وكما نرى في العالم، ثمة مهرجانات متخصصة عُرفت بها دول بعينها، وأصبحت علامة وطنية فارقة لها، مثل مهرجان كان السينمائي في فرنسا، ومهرجان إدفا العالمي للأفلام الوثائقية في أمستردام، وبينالة البندقية، وغيرها الكثير من المهرجانات، وحتى على الصعيد العربي، هناك مهرجان قرطاج للمسرح في تونس، ومهرجان أو ملتقى أصيلة للتشكيل في المغرب، ومهرجان بعلبك للفنون الشعبية في لبنان، بينما عُرف العراق بمهرجان المربد الشعري الذي أصبحت له مكانة مرموقة، لما للعراق من حظوة شعرية في العالم العربي، وبدل إدامته وإبرازه وتطويره، نرى أنّه أُهمل او أُلغي تقريبًا، وتُرك مصيره بيد سلطات محلية محدودة القدرات الذاتية.

أكثر شاعر لُحنت قصائده في العالم

هاينرش هاينة الشاعر الغنائي

ماجد الخطيب

أستُلهمت أعمال الشاعر هاينريش هاينه في الموسيقى بشكل لم يسبقه إليه أي شاعر (إذا استثنينا "ناظم الترانيم"-النبي داود- إلى حد ما). فهناك أكثر من 10,000"إعداد" موسيقي وآلاف غيرها من "الترتيبات" والتنويعات" التي أجريت على هذه "الإعدادات". على أية حال هناك 8000 عمل في صوت أو صوتين، كما هو مثبت في قاعدة المعلومات في هذه الصفحة في موضوع هاينه. للمقارنة، فقد تم جمع سيرة حياة شكسبير الموسيقية في 5 أجزاء صدرت مؤخراً عن جامعة "اوكسفورد بريس"، في حين يقع كتاب غونتر ميتزنر "هاينه في الموسيقى" في 12 جزءًا.

"قضيت عدة سنوات في دراسة حياة وأدب الشاعر الألماني الكبير هاينريش هاينه. صدر كتابي "هاينريش هاينه: روح الشعر الألماني" سنة2012 عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وكانت وكالة رويترز أول من كتب صفحتين عنه. اقتبست عنوان الكتاب من مقولة للأديب الفرنسي اونرية دي بلزاك قال فيها إن هاينه "روح وشعر ألمانيا".

تناولت في الكتاب معظم جوانب حياة وشعر هاينه في أكثر من 400 صفحة، وضمنته الترجمة الكاملة لمسرحية هاينه الأندلسية الشهيرة "المنصور" وترجمات للعديد من قصائده.

كان بودي أن أضيف فصلاً للكتاب بعنوان "هاينه الشاعر الغنائي" في حالة صدور طبعة ثانية من الكتاب. ما زلت بانتظار ناشر يهتم بطباعة ونشر الكتاب في طبعة ثانية. أعرض هنا نسخة مختصرة من هذا الفصل.

ماجد الخطيب

برعاية أمه، التي أرادت له تربية رفيعة، تعلم الصغير هاينريش هاينة (1856 ـ 1797) مبادئ الموسيقى، وتعلم العزف على آلة أو آلتين، لكنه لم يبرع بها يوماً. كتب الكثير عن الموسيقى إلى صحيفة "اوغسبورغر الجيماينة تسايتونغ" أيضاً، وهو يعيش مراسلاً لها في منفاه الباريسي، إلا أنه لم يكن ضليعاً في ذلك، ويعترف نفسه بأن ما كتبه لم يكن أكثر من "عرض صحفي" لبعض المؤلفات الموسيقية.

إلا أنه كان لشعر هاينه، بل ولنثره أيضاً، علاقة تناغمية غاية في الانسجام مع الموسيقى، ومع الموسيقيين الكبار، سواء الذين عاصروه، أو الذين ألفّوا الموسيقى بعد وفاته. ويمكن القول إنه لم يسبق لأي شاعر أن لُحّنت قصائده، أو استوحيت القطع الموسيقية من أشعاره، كما جرى ذلك مع هاينه. ونشر غونتر ميتزنر كتاباً بعنوان "هاينه والموسيقى" أحصى فيه 6833 لحناً ومقطوعة استوحيت من "أغاني" هاينه، ومن قصائده الثلاثية المقطع (بالادز)، ومن سونيتاته وحكاياته. وهذا رقم قياسي، حسب رأي معظم النقاد، لم يبلغه حتى عملاق الشعر الألماني غوته.

ألف كارل فريديريش كورتمان أول مقطوعة موسيقية عام 1825، أي وعمر هاينه لم يزد حينها عن28 سنة، عن مقطع "ها قد حل أيار" من قصيدة "ربيع جديد". كانت هذه المقطوعة بداية اهتمام لا ينقطع، وإعداد مؤلفات موسيقية لا تحصى، كانت أعمال هاينه موضوعها أو مضمونها. وجاء في كتاب ميتزنر المذكور أن عدد الموسيقيين الذين لحّنوا هاينه، حتى عام 1840، بلغ 24 موسيقياً ألمانياً وعالمياً. ارتفع هذا الرقم بعد أربع سنوات إلى50 موسيقياً لحّنوا قصائد الشاعر، أو استوحوا ألحان159 قطعة موسيقية من أعماله. يعود سبب الارتفاع السريع في هذا الرقم إلى صدور مجموعة الشاعر الرائعة "قصائد جديدة"، عن دار نشر "كامبة"، التي كان هاينه يتعامل معها. ولنتصور ما يحمله هذا الرقم من تحدٍ إذا عرفنا أن الدولة البروسية منعت أعمال الشاعر، وأصدر الفاتيكان مرسوماً في حينها يمنع الناس من قراءة ونشر وتداول أعمال الشاعر بتهمة الهرطقة. جدير بالذكر أيضاً أن معظم المؤلفين الموسيقيين كانوا من الناطقين بالألمانية (ألمان أو نمساويين أو سويسريين أو بلجيكيين)، سواء الذين يعيشون في ألمانيا منهم، أو خارجها.

قفز هذا الرقم مجدداً عام 1886، أي بعد ثلاثين سنة من موت هاينه، إلى 1093 لحناً ألفه 538 موسيقياً. بين هؤلاء الموسيقيين ريتشارد فاغنر، وفرانز شوبير، وروبرت وزوجته كلارا شومان، ويوهانيس براهمز، وفيليكس ميندلسون بارتولدي، وفرانز ليست، وبيوتر ايليتش جايكوفسكي، والكسندر بورودين، وميتزلين فايسهايمر، وشارل ايفيس، و الما ماهلر- فيرفل، وهوغو فولف، وجياكومو مايربير، وماكس ريغر، وريتشارد شتراوس، وكارل لوفه، وهانز ايسلر...إلخ. هي معزوفات ما زالت تُعزف اليوم في مختلف بلدان العالم.

ومن أشهر المقاطع الموسيقية التي اكتسب شهرة عالمية كانت" الهولندي الطائر"، التي استلهم فاغنر أجوائها من "من مذكرات السيد فون شنابلوفسكي" لهاينه، و"تغريد البجع" و"عشق الشاعر" لفرانتز شوبير، و قصيدة "اللوريلاي" التي لحنها فريدريش سليشر وأصبحت "أنشودة" يرددها تلاميذ المدارس في ألمانيا حتى اليوم. واستمرت هذه الحال إلى القرن العشرين حينما لحن غونتر بيلاس اوبرا "قبر المرتبة" استوحاها من قصائد هاينه الحزينه، في ديوانه الأخير" قبر المرتبة"، الذي كان يرثي به نفسه قبل موته. صدرت بعد ذلك اسطوانة كاملة للمغنية الألمانية كاتيا ابيشتاين عام1979 غنّت فيها بعض قصائد الشاعر.

إستفزاز التأليف

حسناً، لماذا كل هذه الموسيقية في أشعار هاينه، ولماذا كل هذا الحشد من الموسيقيين الكبار الذي لحنوا أعمال الشاعر؟ يقول ريتشارد فاغنر، الذي ارتبط بعلاقة صداقة متينة مع هاينه، "إن أشعار هاينه كُتبتْ كي تستفز التأليف الموسيقي". هذا تقييم يتفق معه عشرات الموسيقيين الذين يجدون في أغاني هاينه مادة دسمة لأعمالهم. لكن هذا "التعميم" لا يكفي، كما يبدو، لتفسير سر غنائية هذا الشاعر، ويذهب دارسو أدب هاينه إلى أن طبيعة شعر هاينه "الرومانسية"، وبنيتها المنسوجة على أساس إيقاعات وقوافي الأغاني الشعبية، والحكايات الخيالية، جعلت منه "مادة موسيقية" سلفاً. ثم أن العواطف الجياشة، والعذابات، ولواعج الحب، التي تزخر بها قصائده، تطابقت مع المشاعر المماثلة لدى الموسيقيين، وخصوصاً معاناة روبرت شومان، الذي عاصر هاينه، ولحن أكثر قصائد ديوان "كتاب الأغاني".

يلاحظ ميتزنر أن القوافي والإيقاعات التي يكتب بها هاينه أشعاره هي نفس القوافي والإيقاعات التي تغني بها الجدّات في الحكايات الشعبية. وتنطبق هذه الحال على ألحان فاغنر الذي استلهم مقاطع شعرية "ساخرة" من هاينه في تأليف موسيقى الهولندي الطائر. يضاف إلى ذلك أن أنجح المقطوعات التي لُحّنت لهاينه استمدت من ديوانه الأشهر" كتاب الأغاني"، الذي صدر أثناء فترة هاينه الرومانسية.

رغم هذا الحشد العظيم من المقطوعات الموسيقية والأغاني التي كتبت بوحي من هاينه، فالملحوظ أنها تركزت على كتاب الأغاني، وعلى مجموعة" قصائد جديدة". وكتبت شارلوته شتوبلنبورغ أن معظم قصائد هاينه لُحّنت في القرن التاسع عشر أو مطلع القرن العشرين، وهذا لا يكشف دور الحركة الرومانسية في ذلك فحسب، وإنما يكشف علاقتها بالحكايات الشعبية، التي لم تشهد تغيراً يذكر طوال القرون الماضية.

ومن بين أهم 12 قصيدة لحنت لهاينه، وبعدة تنويعات، نجد أن معظمها جاءت من كتاب الأغاني، مع قصيدة أو قصيدتين من مجموعة" قصائد جديدة". الأهم هو أن معظم هذه القصائد، دون استثناء، كتبت في مقاطع شعرية تتألف من 4 أشطر، ومن قواف متشابهة، وإيقاعات داخلية مماثلة لإيقاعات القصص والأغاني الشعبية. بمعنى آخر ان قصائد هاينه هذه تحمل كل مواصفات، أو لنقل "معالم"، القصص والحكايات والميلوديا لا تنفصلان عن بعضهما، مع انتظام ظاهر في الإيقاع والقافية.

كأي شاعر رومانسي، ولو أنه اختلف مع الرومانسية بعد نضوجه الفكري والشعري، يشعر القارىء بـ "أناه" ظاهرة بين أبيات كل قصيدة. هذه الأنا الجميلة التي تؤثر في القاري إلى حد التماهي مع الشاعر، وتجعله يعيش لحظات الفرح والإحباط معه. وطبيعي فإن الموسيقي يجد نفسه في أنا الشاعر أسرع من القارئ العادي، خصوصاً حينما تنسال هذه الأنا بموسيقية قريبة من القلب، وقريبة من موسيقى الحكايات الشعبية، التي سمعها المؤلف الموسيقي في طفولته، وهدهدته أمه عليها. هذا سر آخر من أسرار غنائية هاينه واهتمام العدد الغفير من المؤلفين الموسيقيين به.

سخريته من الحياة

تلعب معظم قصائد هاينه، في "كتاب الأغاني" على أوتار التناقض، أو لنقل الازدواجية، بين المشاعر والكلمة، أو بين جمال الطبيعة وبشاعة الحياة وقسوتها. منها قصيدة "في أيار" التي يجد القارئ ترجمتها في هذا النص، إذ يعتبرها العديد من النقاد مثالاً واضحاً على سخرية هاينه من الحياة، وتلاعبه بمشاعر القارئ، واستلهامه قوافي الأغاني الشعبية في قصائده. مع ملاحظة أن "في أيار" كانت أول قصيدة لحنها روبرت شومان للشاعر هاينه.

تلعب معظم قصائد هاينه، في "كتاب الأغاني" على أوتار التناقض، أو لنقل الازدواجية، بين المشاعر والكلمة، أو بين جمال الطبيعة وبشاعة الحياة وقسوتها.

في أيار

الأصدقاء الذين قبّلتهم
وأحببتهم،
مارسوا الاسوأ معي؛
قلبي يتحطم، لكن الشمس في الأفق
تستقبل باسمة شهر البهجة.

يزهر الربيع. وفي الغابة الخضراء
يعلو تغريد الطيور العذب،
تبتسم الحياة والورود بعذرية-
أوه، أيتها الدنيا الجميلة ما أبشعك!

هنا أكاد أطري عالم الجحيم؛
فهناك لا يقززنا أي تنافر فظ؛
أفضل بكثير للقلوب المعذبة
أن تتعذب على ضفاف الستايكس(1) المظلمة.

هديره السوداوي،
زعيق طيور الستامفيلد(2)
الموحش،
غناء آلهة الحرب الثاقب،
يتخلله نباح سيربروس(3).

هذا يلائم التعاسة والعذاب
تماماً-
في مملكة الظلال، وفي وادي الأحزان،
وشياطين بروسربينا(4) الملعونين،
كل شيء منسجم مع دموعنا.

لكن، هنا فوق، ويا للقسوة
تطعنني الشمس والزهور!
وتسخر مني السماء، الزرقاء الايارية-
أوه، أيتها الدنيا الجميلة ما أبشعك!

التناقض في القصيدة ظاهر بين معاناة الشاعر وحزنه "قلبه يتحطم" وبين جمال الطبيعة التي يفرشها أيار على الأرض. ورغم كل هذه الجمال، الذي تصوره الشمس المشرقة والزهور، يقول الشاعر إن "الجحيم" أنسب إلى القلوب المحطمة، لأن الجحيم عالم أموات لا تناقضات فيه بالمقارنة مع عالم الأحياء المشحون بالتناقضات. ينتهي المقطعان الثاني والأخير بشطر" أوه، أيتها الدنيا الجميلة ما أبشعك!".

وأنا الشاعر تفرض حضورها بما يكفي، وبأقصى مباشرة، لأن كلمة" أنا" تأتي أكثر من مرة. مرة حينما يطعنها الأصدقاء في الخلف، ومرة عندما تطعنها الشمس والزهور، وأخرى حينما تسخر منها السماء.

عبر المؤلف الموسيقي سيزار انتونوفيتش كوي(-1835 1918)، وهو من أصل فرنسي-ليتواني، أحسن تعبير عن تأثره بـ "مسرحية "وليم رادكليف" لهاينه" أثناء تأليفه اوبرا من ثلاثة فصول، قضى7 سنوات في تلحينها." المؤثرات الفانطازية والعاطفية العميقة لهاينه تتطابق مع أوصاف البطل في عملي. أفعمتني موهبة هاينه بالعواطف". علماً أن كوي، حاله حال روبرت شومان، اشتهر كمؤلف موسيقي "أدبي"، بمعنى أنه كان يتخصص بتأليف الألحان المأخوذة عن العمال الشعرية والنثرية. ترك الايطالي بيرتو انتونيو ماساني(1863-1945) انطباعاً مماثلاً عن أسباب تأثره بشعر هاينه بعد أن قدم في شتوتغارت(جنوب ألمانيا) عام 1945 مسرحية هاينه "غوغليمو رادكليف" عارضاً فيها رؤياه لوليم راديكليف الايطالي.

(1) ستايكس: نهر الجحيم في الأساطير الاغريقية القديمة
(2) الستامفيلد: طيور الجحيم التي تفترس البشر. تقذف فريستها بريشها الحديدي المسموم.
(3) سيربروس: كلب الجحيم. يصور أحياناً بثلاثة رؤوس.
(4) بروزربينا: زوجة إله الجحيم بلوتو في الأساطير الأغريقية والرومانية.

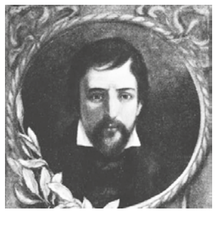

هايزنيش هاينه ـ محطات

يصنّف معظم النقاد الألمان هايزنيش هاينه في المنزلة الثانية بعد غوتة، أي قبل فريدريش شيللر، في قائمة أعظم الشعراء الألمان. وليس ذلك بسبب شعره الرومانسي الجميل، وإنما بسبب مواقفه التقدمية في الأدب والسياسة وتوظيفه الشعر، لأول مرة في ألمانيا، في نقد المؤسسة التقليدية والشعر التقليدي.

كان رومانسياً ثورياً وثورياً رومانسياً، من جماعة" ألمانيا الفتية" و"الهيغليين الجدد"، وتعرض للمطاردة والاضطهاد من قبل الدولة البروسية. استخدم السخرية والتهكم في شعره وكان ذلك عصياً على فهم النخب المثقفة الألمانية المغرقة آنذاك في كلاسيكيتها ورجعيتها.

عمل في الصحافة ويعود إليه الفضل في ابتكار صفحة الأدب والفن التي عمت في ألمانيا لاحقا كـ"فويليتون". وجدت أشعاره مكانة لها في قلوب الألمان من كافة الطبقات رغم انحيازه للأفكار الاشتراكية وتأثره بكارل ماركس. تحول إلى المسيحية وهو شاب، لكن المؤسسات الألمانية القديمة لم تكف عن تحقيره بسبب أصوله اليهودية ولسانه السليط.

عاش معظم حياته لاجئاً سياسياً في باريس ومات فيها.

ولد يوم 13 ديسمبر1797 ومنحه والداه اسم هاري لأن المؤسسات الألمانية آنذاك كانت تحظر على اليهود تسمية أبنائهم بأسماء ألمانية. هو الطفل الأول لعائلة تاجر أقمشة من مدينة دسلدورف في غرب ألمانيا. قضى طفولته في دسلدورف، لكنه ترعرع لاحقاً في فرانكفورت وهامبورغ ونال تعليمه فيهما. بدأ دراسة القانون ببون عام1819، ثم بغوتنجن وبرلين وأنهى دراسته عام 1825.

تعرف خلال دراسته على الفيلسوف جورج فيلهل فريدريش هيغل وتطورت المعرفة إلى صداقة متينة مع مر السنين. ارتبط بصداقة متينة مع كارل ماركس في باريس وصار يستخدم مفردات مثل "البروليتاريا" و"فائض القيمة" لأول مرة في كتاباته تأثراً بماركس.

أصبحت الحياة تحت المراقبة والاضطهاد غير ممكنة فقرر الهجرة من ألمانيا في مايس من عام 1831 ليصبح مراسلاً لصحيفة "أوغسبورغر الغيمابنة تسايتونغ" بباريس. وقضى بقية حياته في العاصمة الفرنسية عدا عن رحلتين قصيرتين أداهما إلى ألمانيا.

منعت السلطات الألمانية عام 1835 كافة أعمال اليهود الأدبية، بضمنها أعمال هاينة، رغم أنه تحول إلى المسيحية قبل9 سنوات. كما أحرق الفاتيكان كتبه بتهمة الهرطقة.

قضى معظم حياته بعدها مريضاً في الفراش الذي سماه" السرير القبر. وافاه الأجل بعد رحلة عذابات طويلة يوم17 فبراير 1856 ودفن بعد ثلاثة أيام في مقبرة مونمارتر الباريسية.

احتفلت ألمانيا في العام 1997 بمرور 200 سنة على ميلاد هاينه. وفي هذه المناسبة توصل باحثان علميان شهيران، يتخصصان في الطب العدلي، ودون معرفة أحدهما بجهود الآخر، إلى أن هاينه مات مسموماً بمركبات الرصاص.

أجريا أبحاثهما على خصل من شعر هاينة تم الاحتفاظ بها في أرشيف الشاعر في دسلدورف. توجهت أصابع الاتهام فوراً إلى جواسيس الدولة البروسية الذين كانوا يلاحقون هاينه بباريس.

الروائي العراقي طه الشبيب

التجربة الأدبية مأزق وجودي يعصف بإنسانية الإنسان

عُرف الكاتب الروائي العراقي طه الشبيب بغزارة انتاجه الروائي الذي تجاوز حتى إجراء هذا الحوار، الستة عشر رواية، نال أغلبها استحسان النقاد والقرّاء والمتابعين لمسيرته الأدبية التي بدأها برواية "أنّه الجراد"، وكللها بحصوله على جائزة نجيب محفوظ للرواية العربية للعام 2000 عن روايته "الضفيرة" التي استطاع بواسطتها تجسيد فنتازيا واقعية سحرية على طريقته الخاصّة، الأمر الذي جعلها تترك صدى طيبًا، وتحظى بالمتابعة النقدية. تعالج روايات طه الشبيب في معظمها، موضوعة الطغيان والدكتاتورية ورصد تأثيرها المدمر على المجتمع العراقي في أحلك مراحل العراق السياسية وأشدّها قساوة ورعبًا، ولعله من الغريب والمتناقض أن يمزج هذا كله بمسحة من الكوميديا والتراجيديا المتداخلة، راسمًا مصائر أبطاله وفق رؤية عميقة تكشف تيهها وخرابها الداخلي، مجسدًا في المحصلة هول المأساة التي حلت بالبلد وحجم التخريب النفسي الذي تعرض له الأفراد.

• منذ روايتك الأولى "إنّه الجراد" حتى الآن، ما زلت مواصلًا مشروعك السردي، كيف تقيم تجربتك الإبداعية، وما هي محطاتها البارزة، وكيف تنظر إلى وظيفة الأدب وجدواه الآن؟

كأيّ تجربة ابداعية، تقييمُها النقدي موكلٌ إلى المتلقي.. تلقٍّ مُدعّمٌ بأدوات نقدية أو مجرد منهاً مُكتفٍ بذائقة طبيعية. أما اذا تُرك أمر التقييم للذات المُنتجة، فان اول انطباع تسجله هذه الذات هو ذاك المتعلّق بوعورة الرحلة الابداعية. فمنذ اللحظة صفر من زمن الشروع، تتأسّس التجربة على همٍّ يتشكل بتؤدة، كما تتشكل دُمُلةٌ، يقدح تشكيلَه مأزقٌ وجودي يعصف بانسانية الانسان في بلدي العراق. فيكون لابد من موقف ثقافي.. اعني انجع موقف يتّخذه عاملٌ في حقل الابداع.. موقف يتّسق مع فهمي الشخصي لكُنْه الثقافة التي أُعرّفها بانها:القدرة على صوغ موقف نقدي من الحياة والتعبير عنه. وبذا يكون المثقف هو: القادر على صوغ موقف نقدي من الحياة والتعبير عنه. موقفٌ كهذا يتطلب صوغًه، في زمن المواقف الوجودية، والتعبير عنه، ايماناً يرقى الى الاقاصي، في عُمقه ورسوخه.. ايمانا بمعادلة فحواها أن وجودا أمثلا لانسانية الانسان لا يتأتّى الا بقربانٍ بشريٍّ عظيم.فعلى اساس هذا الفهم، انما انطلقت رحلتي الابداعية تشق طريقها الاكثر وعورةً طُرّاً.

وهكذا فان متتبّع متوالية اعمالي لن يُعجزَه شمٌّ نجيع القربان، الذي يُعمّد سلسلةً متواصلة من الروايات التي يربط ما بينها خطابٌ واحد .. خطابٌ يتصارخ بتحريضه المتلقي على الانتصار لانسانيته المهدورة المنتهكة، بتحريضه المتلقي على على مقارعة نموذج القبح ، الذي كان يراد له ان يسود فيدمغ أيّ نموذج آخر للجمال.

لقد بلغ تواصل سلسلة رواياتي وترابطها ثقافيا مع بعضها بعضا مبلغاً، وجدتُ نفسي عنده ان أُسمّي روايتي السادسة بـ "الحكاية السادسة". عند قراءة هذه الرواية لا يعثر قارؤها على أيّ اشارة فيها تحيل الى هذا العنوان. الدلالة الوحيدة للعنوان هي كونها سادسة رواياتي، فلكأنّ الكاتب يصرخ في وجه القاريء: أنّها حكايتي السادسة التي اسردها على مسمعك، توصل اليك الخطاب المحرّض ذاته الذي صرختْ به الروايات الخمس التي سبقتها ، فمتى تثبُ في وجه ماسِخ جمال انسانيتك؟ على هذا، فرحلتي الإبداعية لا محطات فيها.. انطلقت من محطة بعينها، يحدوها همٌّ وجودي بعينه، ولن تتوقف في أي محطة على الطريق.. وإن كان لالتقاط الانفاس.. ما دام الهمُّ ذاته لا يفتأ يديم على شعلتي الابداعية جذوتها.

أأفضحُ صورةً لوظيفة الأدب بوسعي رسمها، من هذه؟ إنها تُعلّقُ أمام العيون، مهما تجرّأ الزمن وتلوّن.

• قلت مرّة أنّ الكتابة عملية تأمّل بصوت عال، أو محاولة لجعل الحلم يشكل العالم، بينما يرى البعض الآخر أنّ الكتابة بمثابة قرع جرس عملاق لجعل الصدى يملأ الآفاق بالأسئلة. كيف ترى الأمر من وجهة نظرك؟

إجابتي السابقة تؤكد ان الكتابة انما هي بمثابة قرع جرس عملاق. على ان هذه الخلاصة لا تتقاطع مع كون الكتابة الروائية هي تأمّل بصوت عالٍ. فقارع الجرس لا يهتدي الى فكرة القرْع الا بعد تأمل سيرورة الحياة التي تحفّ به، وتهجّس تشّياتها وأخاديدها وغضونها، والبحث المخلص الجهيد عن رحابة منبسطاتها المتوارية. وحدُهُ التأمّل في كل ذلك، وسواه مما يمتّ بصلة الى ثنائية الجمال والقبح، ما يهدي قارع الجرس الى فكرة القرع.

وفي الواقع ان مقولة التأمل كمكنون للكتابة الروائية ما هي الا إقرار بأن الكتابة الروائية، في جوهرها، مغامرة فلسفية.

من ناحية ثانية للتأمل عندي وظيفة اخرى.. وظيفة "فنية". فنهجي الكتابي قائم على اني اكتب ما اسمّيها "رواية النص الداخلي" . وهي رواية لا تأتي بـ "حكايتها" من الواقع المعيش، وانما تخلّقها داخل النص. أي ان "الحكاية" تبني مشهدا تلو المشهد، دونما أي "لَبَنات" يأتي بها الكاتب من الواقع المعيش. على هذا، فبكاتب رواية من هذا النوع حاجة ماسة الى تأمل "المشهد السابق" تأملا عميقا لكي يتسنى له اشتقاق "المشهد اللاحق" منه. وهكذا.

• في العام 2000 فازت روايتك "الضفيرة" بجائزة نجيب محفوظ للرواية العربية، كيف تقيم الجوائز الأدبية بشكل عام، وهل احدث جائزة نجيب محفوظ انعطافة ما في مسيرتك الأدبية؟

رواية "الضفيرة" هي الرواية الرابعة التي تصدر لي. يومها لم اكن متنبّها الى موضوع الجوائز. فلم يكن الامر مألوفا، واحسب ان الجائزة التي حصلت عليها "الضفيرة" في ذلك العام هي أوّل جائزة عربية (من مصر) تحصل عليها رواية عراقية! هل سبقتها رواية اخرى الى ذلك؟ حسب علمي لا. المهم، هذا يعني ان أمر الجوائز العربية غير مألوف. وما دفعني حينها إلى إرسالها إلى المجلس الأعلى للثقافة في مصر هو إلحاح الاصدقاء، ولم اندفع أنا ذاتيا إلى ذلك. لأني كنت اؤمن، ولا ازال، بأن لا ينشغل الكاتب بهاجس غير هاجس تحويل الهم الذي يثقل على صدره ويوجع ضميره الى نص جمالي ذي وظيفة انسانية. لذا وجدتُني محايداً تماماً ازاء حصول "الضفيرة" على جائزة عربية. يوم أُبلغتُ بالخبر كنت موشكا على ان افرغ من كتابة روايتي الخامسة"خاصرة الرغيف". لم يشغلني الفرح، اللابد منه، عن مواصلة الكتابة بالاخلاص ذاته الذي كان آخذا بي وانا اكتب خاصرة الرغيف. وحقيقة، لم اسجل ايّ فارق ينعكس على كتابتي رواياتي اللاحقة بعد الحصول على تلك الجائزة. فموضوع الجوائز موضوع طاري، ليست له اية علاقة لا من قريب ولا من بعيد بصلب الموضوع الاساس. والموضوع الاساس هو مشارفة الكاتب على الموت كلما كتب نصّاً جديداً .. أعني الموضوع الذي لا ينبغي لأي موضوع سواه ان يحلّ محلّه.

الموضوع الأساس هو مشارفة الكاتب على الموت كلما كتب نصّاً جديداً.. أعني الموضوع الذي لا ينبغي لأي موضوع آخر سواه ان يحلّ محلّه

• يختلط عندك الواقعي بالمتخيّل والتراجيدي بالكوميدي، لتقدم للقارئ فرشة سرديّة واسعة، ومع ذلك تمكنه ـ القارئ ـ من الإمساك بجميع الخيوط، من دون ان تدخله في متاهات غير محسوبة، هل ترى الأمر على هذا النحو؟

قلت في اجابة سابقة أني أكتب "رواية نص داخلي.. الحكاية فيها مُخلّقة تخليقاً". هذا يعني ان النص مُتخيّل بكامله لا يربطه بالواقع المعيش غير مبناه الفكري. فالنص هنا ينشغل بمقولة مستمدّة من الواقع، بإمكان القاريء ان يهتدي اليها. ولن يهتدي اليها الا اذا اقتنع بصدق أحداث الحكاية. صدقٌ له قوة الاقناع هذه لا يتحقق حتى يلمس القاريء منطقية بناء الاحداث. بمعنى ان القاريء يرى رؤية العين ويسمع سماع الأذن ما يجري في عملية بناء الاحداث. الكاتب، في هذا النهج الكتابي، لا يرتضي بنقل اخبار ما يحدث الى القاريء، وانما يعمد الى نقل القاريء الى الحدث، فيرى هذا ويسمع بنفسه ما يدور. بكلمات أُخر ، لا وجود لـ "الروي بالإخبار" في هذا النهج الكتابي، بل هو "الروي سردا" ما ينهض بمهمة انشاء النص. الروي سرداً، او نقل القاريء الى الحدث وليس نقل أخبار الحدث الى القاريء، سيحيل الحكاية المُخلّقة الى حكاية مألوفة لا مراء في واقعيتها. عندذاك فقط سيمسك القاريء بكل خيوط العمل، ولا ينتهي تائها في مفازاته. مع انه سحريٌّ بامتياز. وسيكون من اليسير على القاريء ان يكتشف الواقع.. واقعَه هو .. ذاك الذي خبأه الكاتب بين طيات نسيج نصه السحري. ومن هنا تجيء تسمية "السحرية الواقعية" .. وليس "الواقعية السحرية" المعروفة.. لتكون احدى مزايا "رواية النص الداخلي".

• يرى البعض أنّ رواياتك، على كثرتها النسبية، لم تحظ بالدراسة النقدية الكافية، ربما بسبب التحديات التي بات الأدب يواجهها، كانصراف القرّاء إلى التقنيات الجديدة، وانحسار رقعة التوزيع، وعدم أهلية دور النشر وتوجهها للروايات العالمية المترجمة.

في سعيي لكتابة سيرة ذاتية ادبية لي، نزولا عند طلب جهة ثقافية مني ذلك، أحصيت ما يناهز المئتين وخمسين دراسة ومقالة نقدية عن أعمالي. هذه التي وقعت في يدي فحفظتها في ارشيفي. اضافة اليها، هناك ما يقارب العشرين اطروحة ماجستير ودكتوراه.. اطاريح تتناول أعمالي الروائية بمفردها.. أي غير تلك التي تتناول اعمالي الى جانب اعمال كتاب آخرين، وهي اكثر مما تحصى في جميع جامعات البلد. الى جانب هذا وذاك ثمة خمس كتب نقدية تناولت رواياتي تحديدا. من الواضح اذن ان التناول النقدي لأعمالي لم يكن شحيحا. الشحيح هو الترويج لكل ذلك .. الترويج للاهتمام النقدي بأعمالي. مع هذا فاني لأتفقُ مع القول الذي يذهب الى ان نقداً غير مُتسرع، مستكشفا الجديد الابداعي في أعمالي الروائية، لم احظ به لحد الآن.

• منذ روايتك الأولى "إنّه الجراد" حتى الآن، ما زلت مواصلًا مشروعك السردي، كيف تقيم تجربتك الإبداعية، وما هي محطاتها البارزة، وكيف تنظر إلى وظيفة الأدب وجدواه الآن؟

كأيّ تجربة ابداعية، تقييمُها النقدي موكلٌ إلى المتلقي.. تلقٍّ مُدعّمٌ بأدوات نقدية أو مجرد منهاً مُكتفٍ بذائقة طبيعية. أما اذا تُرك أمر التقييم للذات المُنتجة، فان اول انطباع تسجله هذه الذات هو ذاك المتعلّق بوعورة الرحلة الابداعية. فمنذ اللحظة صفر من زمن الشروع، تتأسّس التجربة على همٍّ يتشكل بتؤدة، كما تتشكل دُمُلةٌ، يقدح تشكيلَه مأزقٌ وجودي يعصف بانسانية الانسان في بلدي العراق. فيكون لابد من موقف ثقافي.. اعني انجع موقف يتّخذه عاملٌ في حقل الابداع.. موقف يتّسق مع فهمي الشخصي لكُنْه الثقافة التي أُعرّفها بانها:القدرة على صوغ موقف نقدي من الحياة والتعبير عنه. وبذا يكون المثقف هو: القادر على صوغ موقف نقدي من الحياة والتعبير عنه. موقفٌ كهذا يتطلب صوغًه، في زمن المواقف الوجودية، والتعبير عنه، ايماناً يرقى الى الاقاصي، في عُمقه ورسوخه.. ايمانا بمعادلة فحواها أن وجودا أمثلا لانسانية الانسان لا يتأتّى الا بقربانٍ بشريٍّ عظيم.فعلى اساس هذا الفهم، انما انطلقت رحلتي الابداعية تشق طريقها الاكثر وعورةً طُرّاً.

وهكذا فان متتبّع متوالية اعمالي لن يُعجزَه شمٌّ نجيع القربان، الذي يُعمّد سلسلةً متواصلة من الروايات التي يربط ما بينها خطابٌ واحد .. خطابٌ يتصارخ بتحريضه المتلقي على الانتصار لانسانيته المهدورة المنتهكة، بتحريضه المتلقي على على مقارعة نموذج القبح ، الذي كان يراد له ان يسود فيدمغ أيّ نموذج آخر للجمال.

لقد بلغ تواصل سلسلة رواياتي وترابطها ثقافيا مع بعضها بعضا مبلغاً، وجدتُ نفسي عنده ان أُسمّي روايتي السادسة بـ "الحكاية السادسة". عند قراءة هذه الرواية لا يعثر قارؤها على أيّ اشارة فيها تحيل الى هذا العنوان. الدلالة الوحيدة للعنوان هي كونها سادسة رواياتي، فلكأنّ الكاتب يصرخ في وجه القاريء: أنّها حكايتي السادسة التي اسردها على مسمعك، توصل اليك الخطاب المحرّض ذاته الذي صرختْ به الروايات الخمس التي سبقتها ، فمتى تثبُ في وجه ماسِخ جمال انسانيتك؟ على هذا، فرحلتي الإبداعية لا محطات فيها.. انطلقت من محطة بعينها، يحدوها همٌّ وجودي بعينه، ولن تتوقف في أي محطة على الطريق.. وإن كان لالتقاط الانفاس.. ما دام الهمُّ ذاته لا يفتأ يديم على شعلتي الابداعية جذوتها.

أأفضحُ صورةً لوظيفة الأدب بوسعي رسمها، من هذه؟ إنها تُعلّقُ أمام العيون، مهما تجرّأ الزمن وتلوّن.

• قلت مرّة أنّ الكتابة عملية تأمّل بصوت عال، أو محاولة لجعل الحلم يشكل العالم، بينما يرى البعض الآخر أنّ الكتابة بمثابة قرع جرس عملاق لجعل الصدى يملأ الآفاق بالأسئلة. كيف ترى الأمر من وجهة نظرك؟

إجابتي السابقة تؤكد ان الكتابة انما هي بمثابة قرع جرس عملاق. على ان هذه الخلاصة لا تتقاطع مع كون الكتابة الروائية هي تأمّل بصوت عالٍ. فقارع الجرس لا يهتدي الى فكرة القرْع الا بعد تأمل سيرورة الحياة التي تحفّ به، وتهجّس تشّياتها وأخاديدها وغضونها، والبحث المخلص الجهيد عن رحابة منبسطاتها المتوارية. وحدُهُ التأمّل في كل ذلك، وسواه مما يمتّ بصلة الى ثنائية الجمال والقبح، ما يهدي قارع الجرس الى فكرة القرع.

وفي الواقع ان مقولة التأمل كمكنون للكتابة الروائية ما هي الا إقرار بأن الكتابة الروائية، في جوهرها، مغامرة فلسفية.

من ناحية ثانية للتأمل عندي وظيفة اخرى.. وظيفة "فنية". فنهجي الكتابي قائم على اني اكتب ما اسمّيها "رواية النص الداخلي" . وهي رواية لا تأتي بـ "حكايتها" من الواقع المعيش، وانما تخلّقها داخل النص. أي ان "الحكاية" تبني مشهدا تلو المشهد، دونما أي "لَبَنات" يأتي بها الكاتب من الواقع المعيش. على هذا، فبكاتب رواية من هذا النوع حاجة ماسة الى تأمل "المشهد السابق" تأملا عميقا لكي يتسنى له اشتقاق "المشهد اللاحق" منه. وهكذا.

• في العام 2000 فازت روايتك "الضفيرة" بجائزة نجيب محفوظ للرواية العربية، كيف تقيم الجوائز الأدبية بشكل عام، وهل احدث جائزة نجيب محفوظ انعطافة ما في مسيرتك الأدبية؟

رواية "الضفيرة" هي الرواية الرابعة التي تصدر لي. يومها لم اكن متنبّها الى موضوع الجوائز. فلم يكن الامر مألوفا، واحسب ان الجائزة التي حصلت عليها "الضفيرة" في ذلك العام هي أوّل جائزة عربية (من مصر) تحصل عليها رواية عراقية! هل سبقتها رواية اخرى الى ذلك؟ حسب علمي لا. المهم، هذا يعني ان أمر الجوائز العربية غير مألوف. وما دفعني حينها إلى إرسالها إلى المجلس الأعلى للثقافة في مصر هو إلحاح الاصدقاء، ولم اندفع أنا ذاتيا إلى ذلك. لأني كنت اؤمن، ولا ازال، بأن لا ينشغل الكاتب بهاجس غير هاجس تحويل الهم الذي يثقل على صدره ويوجع ضميره الى نص جمالي ذي وظيفة انسانية. لذا وجدتُني محايداً تماماً ازاء حصول "الضفيرة" على جائزة عربية. يوم أُبلغتُ بالخبر كنت موشكا على ان افرغ من كتابة روايتي الخامسة"خاصرة الرغيف". لم يشغلني الفرح، اللابد منه، عن مواصلة الكتابة بالاخلاص ذاته الذي كان آخذا بي وانا اكتب خاصرة الرغيف. وحقيقة، لم اسجل ايّ فارق ينعكس على كتابتي رواياتي اللاحقة بعد الحصول على تلك الجائزة. فموضوع الجوائز موضوع طاري، ليست له اية علاقة لا من قريب ولا من بعيد بصلب الموضوع الاساس. والموضوع الاساس هو مشارفة الكاتب على الموت كلما كتب نصّاً جديداً .. أعني الموضوع الذي لا ينبغي لأي موضوع سواه ان يحلّ محلّه.

• يختلط عندك الواقعي بالمتخيّل والتراجيدي بالكوميدي، لتقدم للقارئ فرشة سرديّة واسعة، ومع ذلك تمكنه ـ القارئ ـ من الإمساك بجميع الخيوط، من دون ان تدخله في متاهات غير محسوبة، هل ترى الأمر على هذا النحو؟

قلت في اجابة سابقة أني أكتب "رواية نص داخلي.. الحكاية فيها مُخلّقة تخليقاً". هذا يعني ان النص مُتخيّل بكامله لا يربطه بالواقع المعيش غير مبناه الفكري. فالنص هنا ينشغل بمقولة مستمدّة من الواقع، بإمكان القاريء ان يهتدي اليها. ولن يهتدي اليها الا اذا اقتنع بصدق أحداث الحكاية. صدقٌ له قوة الاقناع هذه لا يتحقق حتى يلمس القاريء منطقية بناء الاحداث. بمعنى ان القاريء يرى رؤية العين ويسمع سماع الأذن ما يجري في عملية بناء الاحداث. الكاتب، في هذا النهج الكتابي، لا يرتضي بنقل اخبار ما يحدث الى القاريء، وانما يعمد الى نقل القاريء الى الحدث، فيرى هذا ويسمع بنفسه ما يدور. بكلمات أُخر ، لا وجود لـ "الروي بالإخبار" في هذا النهج الكتابي، بل هو "الروي سردا" ما ينهض بمهمة انشاء النص. الروي سرداً، او نقل القاريء الى الحدث وليس نقل أخبار الحدث الى القاريء، سيحيل الحكاية المُخلّقة الى حكاية مألوفة لا مراء في واقعيتها. عندذاك فقط سيمسك القاريء بكل خيوط العمل، ولا ينتهي تائها في مفازاته. مع انه سحريٌّ بامتياز. وسيكون من اليسير على القاريء ان يكتشف الواقع.. واقعَه هو .. ذاك الذي خبأه الكاتب بين طيات نسيج نصه السحري. ومن هنا تجيء تسمية "السحرية الواقعية" .. وليس "الواقعية السحرية" المعروفة.. لتكون احدى مزايا "رواية النص الداخلي".

• يرى البعض أنّ رواياتك، على كثرتها النسبية، لم تحظ بالدراسة النقدية الكافية، ربما بسبب التحديات التي بات الأدب يواجهها، كانصراف القرّاء إلى التقنيات الجديدة، وانحسار رقعة التوزيع، وعدم أهلية دور النشر وتوجهها للروايات العالمية المترجمة.

في سعيي لكتابة سيرة ذاتية ادبية لي، نزولا عند طلب جهة ثقافية مني ذلك، أحصيت ما يناهز المئتين وخمسين دراسة ومقالة نقدية عن أعمالي. هذه التي وقعت في يدي فحفظتها في ارشيفي. اضافة اليها، هناك ما يقارب العشرين اطروحة ماجستير ودكتوراه.. اطاريح تتناول أعمالي الروائية بمفردها.. أي غير تلك التي تتناول اعمالي الى جانب اعمال كتاب آخرين، وهي اكثر مما تحصى في جميع جامعات البلد. الى جانب هذا وذاك ثمة خمس كتب نقدية تناولت رواياتي تحديدا. من الواضح اذن ان التناول النقدي لأعمالي لم يكن شحيحا. الشحيح هو الترويج لكل ذلك .. الترويج للاهتمام النقدي بأعمالي. مع هذا فاني لأتفقُ مع القول الذي يذهب الى ان نقداً غير مُتسرع، مستكشفا الجديد الابداعي في أعمالي الروائية، لم احظ به لحد الآن.

يجب أن لا ينشغل الكاتب بهاجس غير هاجس تحويل الهم الذي يثقل على صدره ويوجع ضميره الى نص جمالي ذي وظيفة انسانية

الدكتور طه حامد الشبيب

من مواليد 1953 في الحلة المسيب. حصل على شهادته الابتدائية في العام 1966، والمتوسطة في العام 1969 والثانوية في العام 1971.

عمل طبيبًا في التحليلات المرضية وممثل الجهة المؤسسة لكلية اليرموك الجامعة، كما ترأس مناقشة الطالبة نبراس محمد رضا حسن، وكان موضوع مناقشة رسالتها هو صيغة بعض النتائج الحيوية عند المرضى العراقيين المصابين بحصى المرارة المصاحبة بأعراض غير المعقدة قبل استئصال المرارة، في كلية الصيدلة جامعة بغداد.

بدأ دخوله عالم الأدب وكتابة الرواية في العام 1995، ونشر روايته الأولى "أنّه الجراد"، التي حظيت باهتمام النقاد والقرّاء، بعدها تواصلت أعماله الروائية التي بلغت ستة عشر رواية، أبرزها، "الضفيرة" و"وانه الجراد" و"الأبجدية الأولى" و"مأتم" و"خاصرة الرغيف" و"أنّه الجراد" و"الحكاية السادسة" و"مواء" و"طين حري" و"حبال الغسيل" و"مقامة الكيروسين" و"الرحيل نحو اللا أين".

فاز بالجائزة الثالثة في مسابقة نجيب محفوظ للرواية العربية للعام 2000 عن روايته "الضفيرة".

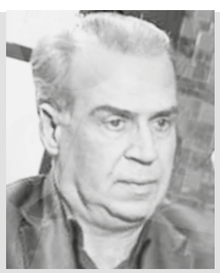

الممثلان ميرفي ديزدار ودنيز سيليلوغلو في أحد مشاهد فيلم "عن الأعشاب الجافّة" للمخرج التركي نوري بلخ جيلان. الصورة ANP

فيلم "عن الأعشاب الجافّة" ووصايا المخرج التركي نوري بلخ جيلان

الحياة ليست غامضة بما يكفي كالروح البشرية

متابعة وإعداد:
نادية بوراس

مدرسة قروية في تركيا، ومعلم محبط، وطالب يتقدم بشكوى ضده: في فيلمه الجديد، يبحث المخرج نوري بلخ جيلان، كما هو الحال دائمًا، عن تحركات روح الإنسان. ساميت (الممثل دنيز سيليلوغلو)، من فيلم الأوسكار التركي "عن الأعشاب الجافة"، هو مدرس فنون يشعر في الواقع بأنه في حالة جيدة جدًا بالنسبة لمدرسة قرية الأناضول حيث يعمل. رجل يحظى بشعبية كبيرة بين الطلاب، ولكنه أيضًا محبط وسهل الانزعاج، ويقع في المشاكل عندما يقدم تلميذه المفضل شكوى ضده.

عن شخصية البوهيمي الطيب والاستثنائي التي تتكرر في أفلامه، يقول نوري بلخ جيلان:

"وصفني معظم النقاد بالوغد في ذلك الوقت. عندما كنت أقدم شخصيات هامشية مستلة من الواقع بطريقة الضحك كالبكاء. لكن هل تعلم؟ أغلب الشخصيات التي كتبها دوستويفسكي كانوا أيضا من الأوغاد! خذ راسكولنيكوف مثلًا، اللقيط (شخصية التلميذ من رواية دوستويفسكي الكلاسيكية الجريمة والعقاب، الذي يعاني من حقيقة أنه قتل صاحبة المنزل، المحررة). يعلمنا راسكولينكوف شيئًا عن الجوانب المظلمة لأرواحنا. إذا قمت بتعريف مثل هذا الشخص على أنه أحمق، فإنك بذلك تنقطع عن الواقع.

استند جيلان في فيلمه بشكل فضفاض إلى مذكرات كتبها أكين أكسو، كاتب سيناريو الدراما السابقة، "شجرة الكمثرى البريّة"، الذي قام بالتدريس ذات مرة في مدرسة في ريف تركيا. "إنه مزيج من الخيال والخيال المحض. حسنًا. ما الذي جذبني إلى تلك اليوميات؟ التفاصيل. لكن لا تسألني عن التفاصيل، لأنني لا أتذكر. هكذا تسير الأمور: بمجرد أن تغوص في شيء ما وتبدأ في الكتابة، تظهر لك أفكار جديدة. قصة الفيلم ليست مهمة بالنسبة لي أيضًا. أنا مهتم أكثر ببعض اللحظات المثيرة للاهتمام التي أستطيع من خلالها فهم صراعات الشخصيات. وعلم النفس، يجب أن يكون صادقا. وهذا يهمني أكثر من العناصر السينمائية الأخرى. في غرفة المونتاج، عندما أقوم بتجميع الفيلم، أكون مجرد خادم للحقيقة.

ليس من السهل التعامل بشكل حقيقي مع جيلان، الذي انضم، من خلال أفلام مثل فيلم "النوم الشتوي" الحائز على جائزة السعفة الذهبية، وملحمته الليلية البارعة "حدث ذات مرة في الأناضول"، إلى صفوف أعظم المخرجين في عصره. فهو يصنع أعمالًا درامية طويلة وصامتة وحزينة، غالبًا ما تدور أحداثها في مجتمع قروي نائي، مثل تلك التي نشأ فيها المخرج ذات يوم. مليئة بالسماء الواسعة التي تم تصويرها ببراعة والمحادثات المزاجية بين الشخصيات المحاصرة. الممثلون لا يخجلون منه أبدًا، سواء كانوا هواة أو محترفين. على شرفة السطح في مدينة كان، حيث عُرض فيلمه لأوّل مرّة، واجه المخرج بعض الأسئلة من مجموعة من الصحفيين. يمكن استخلاص منهجية ما من إجاباته: الوصايا السينمائية الخمس لنوري بلخ جيلان.

مخرج بالفطرة

"في الواقع، الإخراج لا يناسب شخصيتي. أحب أن أكون وحدي، أنا من النوع غير الاجتماعي. لكن ضمن محدوديتي يجب أن أعترف بأنني لست كاتبًا جيدًا، ولست رسامًا جيدًا. اعتقدت أنني مصور فوتوغرافي (قبل مسيرته السينمائية، كان جيلان مصورًا فوتوغرافيًا ناجحًا، المحررة)، وفي هذا الدور، اختبرتُ أيضًا القوة العلاجية للفن. لكن إمكانات التصوير الفوتوغرافي لم تكن كافية بالنسبة لي. السينما لديها القدرة على إخبار شيء ما عن النفس البشرية. ربما ليس بقدر الأدب، ولكن يمكنك التعبير عن كل مشاعرك الغريبة فيها.

الممثلون وأمزجتهم المختلفة

"لا توجد صيغ للعمل مع الممثلين. ما يصلح لممثل واحد لا يعمل لممثل آخر. وإذا كنت تريد تغيير شيء ما في أداء ممثل واحد، فمن الأفضل غالبًا أن تفعل ذلك من خلال الممثل الآخر في المشهد نفسه. التمثيل يدور حول رد الفعل. وهذا ما يُنفق عليه معظم الوقت أثناء التسجيلات: تضليل الممثلين، والكذب عليهم. كل شيء مسموح به لإخراج الشيء الصحيح، لجعلهم ينسون سلوكياتهم. ولكن ما لا يجب عليك فعله أبدًا هو التحدث إلى الممثلين على المستوى التحليلي. مثل، هذا المشهد يعني هذا أو ذاك. هذا الشيء لا يعمل. ثم لا يفعلون بالضبط ما تريد. لذلك عليك أن تكذب عليهم طوال الوقت. أحيانًا يكتشفون أنني أكذب بشأن شيء ما، لكنّهم يسامحونني بعد ذلك. إنّه من أجل الفيلم. الممثلون أناس لطيفون."

أفلام شتائية

"يُرى الثلج كثيراً في أفلامي. مرّة أخرى. أعتقد أن تعزيز هذا الشعور بالمكان البعيد. أحب الثلج، فهو يعيدني إلى شبابي. على الرغم من أن الشتاء هذه الأيّام ليس قاسيًا كما أتذكره. قمنا بتصوير فيلم "عن الأعشاب الجافة" في أبرد جزء من تركيا، ومع ذلك كان الجو مشمسًا في كثير من الأحيان. هذا هو قانون مورفي: إذا كنت بحاجة إلى نوع معين من الطقس لفيلمك، فسوف تحصل على العكس. أعتقد أنني أجد الطبيعة أقل أهمية مما كانت عليه عندما بدأت في صناعة الأفلام. الطبيعة بخير عندما تكون هناك. لكن بالنسبة لي، أصبح الوجه الإنساني الآن أجمل المناظر الطبيعية.

لا تعرف ما تبحث عنه

"في أفلامي الأولى، كنت لا أزال غير متأكد من أنّني أردت اتخاذ قرار بشأن كل شيء قبل أن نبدأ التصوير. الآن أترك كل شيء مفتوحًا، لذا لا يمكنني اتخاذ القرار إلا أثناء التحرير. في أغلب الأحيان لا أعرف ما أريد أثناء اللعب. في بعض الأحيان أقوم بالتصوير فقط ولا أنظر حتى إلى ما أصوره. ثم أفكر فيما يمكنني تصويره. ما لا يجب عليك فعله أبدًا كمخرج هو التوقف والقول أنك لا تستطيع رؤيته لفترة من الوقت. لأن ثقة الجميع تختفي فجأة.

الروح البشرية

"لا أريد أبدًا أن أصنع أفلامًا عن شيء أعرفه جيدًا وأفهمه تمامًا. المجهول هو الأفضل دائمًا: الشيء الوحيد الذي يستحق التصوير. ولهذا السبب فإن أفلامي لا تتعلق أبدًا بالظروف الاجتماعية، أو بأي شيء مثل السياسة. هذا سهل للغاية، وليس غامضًا بدرجة كافية. الروح البشرية، تلك هي المجهول.

طالما نظرت إلى الحياة من خلال منظور الأدب الروسي. كل الأشخاص الذين أقابلهم يشبهون بعض الشخصيات في الأدب الروسي. هذا ليس جنونًا: الزمن يتغير، لكن الناس لا يتغيرون

الخلفية اليسارية

"منذ شبابي، عندما قرأت تشيخوف ودوستويفسكي لأول مرة، نظرت إلى الحياة من خلال منظور الأدب الروسي. كل الأشخاص الذين أقابلهم يشبهون بعض الشخصيات في الأدب الروسي. هذا ليس جنونًا: الزمن يتغير، لكن الناس لا يتغيرون.

ربما تكون قد شعرت بالفعل بما هو عليه الناس قبل أن تقرأ هذا الأدب الروسي. وقتها فقط كنت لا تزال تعتقد أن نظرتك للناس شيء غريب. شذوذ، شيء كان عليك إخفاءه. ومن ثم بفضل تلك الكتب تكتشف أنك لست وحدك. أريد أن أحقق الشيء نفسه مع أفلامي. أنها تعطيك الشعور بأنك لست وحدك، وأنّك حقيقي وواقعي ومحب للبسطاء كما هم من دون تعال.

حذف المشاهد

كانت مدّة الفيلم التركي المرشح لجائزة الأوسكار "عن الأعشاب الجافة" في مرحلة السيناريو، ضعف مدّة نسخته النهائية، لكن على الرغم من ذلك لا تزال مدّته أكثر من ثلاث ساعات. يقول جيلان بهذا الشأن: "لقد أردت تصوير كل شيء. ومن ثم قطع المشاهد غير الضرورية أثناء المونتاج، عندما اكون في المختبر وحدي أبو مع مساعد أو أثنين فقط. بعيدًا عن صخب مواقع التصوير.

المخرج نوري بلخ جيلان

لقطة من فيلم "عن الأعشاب الجافّة".

فيلم "حتى الغد" لعلي أصغري

تجسيد لمحنة المرأة في مجتمعات الشرق

الطريق الثقافي ـ خاص

"حتى الغد"، دراما إيرانية تدور أحداثها حول طالبة غير متزوجة تضطر إلى إخفاء أمر طفلتها غير الشرعية، تتمتع بجاذبية الإثارة. يوضح المخرج علي أصغري والكاتب المشارك علي رضا خاتمي أن الظروف الاجتماعية القاهرة هي التي أوصلت بطلة الفيلم "فرشته" إلى هذه النقطة، كرد فعل على العالم القمعي العدائي الذي تعيش فيه.

تعيش "فرشته"، مع ابنتها البالغة من العمر شهرين، حياة زائفة كطالبة في طهران، حيث تعتني بالطفلة "صدف" بمفردها، بعد أن أصر صديقها السابق ياسر على الإجهاض ويرفض الآن تحمل المسؤولية. علاوة على هذا، يبدو أن عدداً قليلاً فقط من الأصدقاء والجيران يدركون ذلك. ولم تخبر فرشته والدها وأمها، اللذان يعيشان على مسافة بعيدة عنها. وتخشى من أنّهم لن يتسامحوا مع العار المتمثل في إنجاب حفيد غير شرعي وفقًا للشرع وقوانين الدولة الإيرانية.

فجأة ومن دون سابق إنذار، يعلن الأب والأم عن قرب قدومهم لزيارة ابنتهم، فتبدأ "فرشته" على الفور بإخفاء وتغطية آثار الطفلة "صدف" في شقتها الضيقة. تُفكك غرفة الطفلة وتقوم بتخزين جميع محتوياتها لدى الجيران. لكن يبقى السؤال الأهم: أين تترك "صدف"؟

"حتى الغد" هو الفيلم الروائي الثاني للمخرج الإيراني علي أصغري بعد فيلمه القصير "الطفل" 2014، والفيلم الجديد، حسب أصغري نفسه، هو سباق قمعي ضد الزمن. "فرشته" وهو دور مؤثر تلعبه ابنة أخت المخرج صدف أصغري، تشاركها في دور "عاطفة" صديقتها المقربة "غزال شجاعي"، اللتان تجوبان المدينة بحثًا عن شخص يمكنه مجالسة الطفلة طوال الليل. وإذا كان "ياسر" الأب (لعب دوره الممثل أمير رضا رانجباران)، لا يريد ذلك، فربما يجدان ضالتهما في جناح الولادة في المستشفى. بخلاف ذلك، في الحالة الإضطرارية القصوى، ستوجب عليهن تهريب الطفلة "صدف" إلى شقة الطلاب الخاضعة للحراسة حيث تقيم "عاطفة".

مع مرور الوقت، تصبح تصرفات "فرشته" أكثر وتطرفًا وهي تعاني من ضغط نفس هائل خوفًا من أن والديها قد يطلعان على سرّها.

في الوقت نفسه، يوضح أصغري والكاتب المشارك علي رضا خاتمي أنهما قاما منذ المشاهد الأولى ببناء مناخ الفيلم المذعور، بدءًا من الأكاذيب التي ترويها "فرشته" للجيران، مرورًا بحارس منزل الطالبات، وانتهاءً بمدير المستشفى الذي يحاول ابتزازها جنسيًا. إنّه في المحصلة العالم القمعي العدائي الذي يجب أن تعيش فيه "فرشته".

ومن اللافت للنظر أن أصغري قد تمكن من إنتاج مثل هذا الفيلم الإنتقاديواللاذع مثل "حتى الغد" في بلده الأصلي إيران. على الرغم من أنّ السلطات هناك صادرت جواز سفره ومنعته من العمل، حال عودته، بعد مشاركته في مهرجان كان السينمائي الأخير. الأمر الذي يجعل فيلم "حتى الغد" أكثر خطورة وإلحاحًا وإثارة.

فيلم حتى الغد
إخراج: علي أصغري
بطولة: صدف أصغري، غزال شجاعي، أمير رضا رانجباران، ناهال دشتي
مدّة العرض: 86 دقيقة،

صدف أصغري(مع السيكارة)، وغزال شجاعي في لقطة من فيلم "حتى الغد".

الفن في مواجهة الإبادة

معرض "فلسطين صامدة وجذرها كالزيتون"

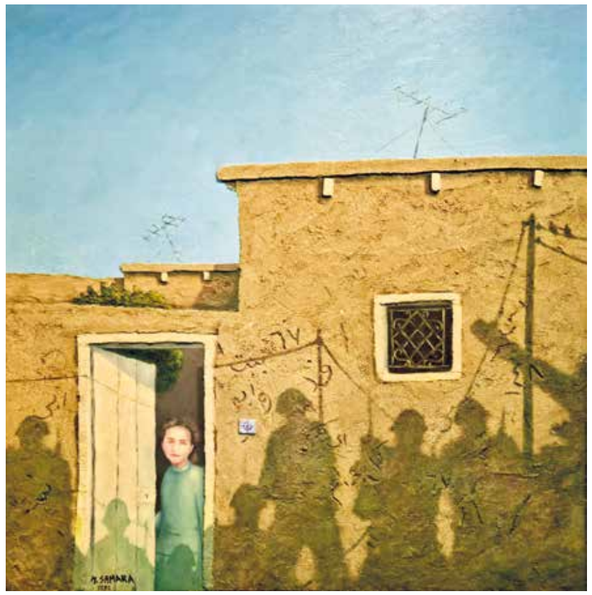

الطريق الثقافي ـ عمّان ـ خاص

في العاصمة الأردنية عمّان معرض "فلسطين صامدة وجذرها كالزيتون" في جاليري رؤى 32 للفنون. لقد حركت الأحداث الدموية التي يشهدها قطاع غزة المحاصر منذ 7 أكتوبر 2023 الماضي جراء الإبادة الجماعية الوحشية الفاشية التي يقوم بها الاحتلال الصهيوني ضد الأطفال والنساء والشيوخ والمساجد والكنائس والبيوت والمؤسسات المختلفة. حركت الضمير الإنساني في مختلف أنحاء دول العالم التي صدمتها مشاهد الموت والدمار جراء القصف الوحشي الصهيوني بطريقة لم يشهد لها العالم مثيلاً.

يشأ الفنان التشكيلي العربي أن ينأى بفنه عن تلك الأحداث المتصاعدة وأراد أن يشارك في هذه المعركة من خلال الخط واللون، من هنا انطلق 18 فنانة وفناناً في معرضهم الموسوم "فلسطين صامدة وجذرها كالزيتون". الذي أفتتح قبل أيام في "جاليري رؤى 32 للفنون". وجاء معرضهم الذي سيستمر حتى يوم الخميس 25 كانون الثاني/ يناير الجاري، ليؤكدوا من خلاله وقوفهم مع الشعب الفلسطيني في غزة والضفة الذي يقاتل من أجل حقه في الحريّة والاستقلال وان مقاومته هي حق مشروع كفلتها القوانين الدولية والشرائع السماوية.

شارك في هذه التظاهرة ثلة من الفنانين: هم كل من: جهاد العامري، داليا علي، رائد قطناني، عثمان شهاب، عماد أبو إشتية، غازي انعيم، كوثر دمق، محمد العامري، محمد سمارة، نصر عبد العزيز، نسمة محرم وسعاد عيساوي. ومن الراحلين الكبار: نذير نبعة، أحمد نعواش، مصطفى الحلاج، عبد الحي مسلم وعدنان يحيى.

لقد سعت هذه المجموعة من الفنانين من خلال هذه المشاركة إلى فضح وإدانة الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين المرتكبة من قبل العدو الصهيوني والدول المتحالفة معه والتي تساهم في سفك الدم الفلسطيني وحصاره وحرمانه من الماء والغذاء والدواء والكساء. لقد شاركت في المعرض أجيال مختلفة من الفنانين، تشابهت موضوعاتهم واختلفت تقنياتهم، لكن في مجملها تشير إلى أن القضية الفلسطينية ما زالت حاضرة في الفنون، وهي تسكن وجدان تلك الأجيال، على الرغم من أنّ الأعمال الفنية المشاركة لم تتناول الحدث الساخن على الأرض مباشرة، إذا ما استثنينا أعمال الفنان الراحل عدنان يحيى التي تجسد وحشية وفاشية العدو في غزة وصبرا وشاتيلا.

وعلل أغلب الفنانين المشاركين عدم تناولهم الحدث بشكل مباشر بإدراكهم أن الصورة التي تنقلها الفضائيات من أرض الواقع أبلغ وأكثر تأثيراً في المتلقي، وأن الأعمال الفنية المؤثرة والتي تتبعناها عبر التاريخ، عادة ما يتم رسمها بعد انجلاء غبار المعارك، وأن الفعل هو للكلمة والقصيدة والأغنية والملصق والشارع.

لكن على الرغم من ذلك فإن الأعمال الفنية التي قدمها المشاركون في المعرض هي من صلب معاناة الفلسطيني. في محاكاتها للقضية الفلسطينية، حيث نشاهد المرأة الفلسطينية حاضرة بزيها المطرز، وكذلك المدن الفلسطينية، وبشكل خاص القدس، بالإضافة إلى ذلك نشاهد الكثير من عناصر التراث الفلسطيني والأيقونات والأساطير الفلسطينية، وصرخات الاحتجاج على واقع الاحتلال الذي لا يقيم وزنًا لقرارات مجلس الأمن الدولي ولا لقرارات الأمم المتحدة، ويضرب بعرض الحائط جميع القوانين الإنسانية.

لقد أراد هؤلاء الفنانون الذين سيتبرعون بنسبة كبيرة من عائد مبيعات أعمالهم للشعب الفلسطيني في غزة أن يؤكدوا من خلال هذه المشاركة وقوفهم إلى جانب معاناة أهلهم المنكوبين بالحرب وجرائم الإحتلال، وأن يوظفوا خراتهم الفنية لإيصال صوتهم إلى شعوب العام. لا سيما وأن هناك انتقال في مضمون اللوحة ولغتها التعبيرية، فاللوحة في هذه المرحلة صارت الموقف، والفن أصبح لديه مهمة تثقيفية وتحريضية تصب في صالح القضية الفلسطينية، وإثبات حقائق ما يحدث على أرض فلسطين من صراع وجودي.

شاركت في المعرض أجيال مختلفة من الفنانين، تشابهت موضوعاتهم واختلفت تقنياتهم، لكن في مجملها تشير إلى أن القضية الفلسطينية ما زالت حاضرة في الفنون

لقد أراد هؤلاء الفنانون الذين سيتبرعون بنسبة كبيرة من عائد مبيعات أعمالهم للشعب الفلسطيني في غزة أن يؤكدوا من خلال هذه المشاركة وقوفهم إلى جانب معاناة أهلهم المنكوبين بالحرب وجرائم الإحتلال

قصائد كمبودية من بونكونج تون

تفاصيل الهزيمة ورحمة الذاكرة

ترجمة: سارة محمدي

نادوا أطفالكم بأسمائهم الحقيقية.
حب. إلهي. الملائكة. قلبي
كن لطيفًا معهم
قل الحقيقة:
لقد ولدوا من الحب
هذه المخلوقات الإلهية
أخبرهم أن إمبراطورية أنغكور قامت
لمدة ستمائة سنة.
أمريكا لم تبلغ نصف هذا العمر
اقرأ لهم الشعر الخميري
إظهر لهم أبساراس وهم يرقصون
على جدران المعبد
التقط فرشاة الرسم، واعزف على آلة
موسيقية
دع الروح تغني أغنيتها.
لقد جعل الخمير الحمر منا جميعا
ملائكة.
لقد حلقنا فوق حقول القتل..
للعثور على منزل على الشواطئ
الأجنبية.
احتفظ بذكريات الضحايا في الأغاني
والصلوات،
بملعقة الأرز نطعم أطفالنا.
تغنوا للقمر بما شهد.

قصائدنا الأمريكية

لقد كنت أعبر الحدود طوال حياتي
أنا لا أتحدث عن التعبئة المفاجئة
للأشياء زوج من السراويل، كيس من
الأرز غير المطبوخ، الذهب المخبأ
داخل الأحزمة، سمك مملح، تربة
من قبر الأم، تمثال صغير لبوذا
عدم وجود وقت لتوديع الأصدقاء،
وعدم معرفة ما إذا كانت هذه
المغادرة ستكون إلى الأبد.
كنت أجلس على ظهر الفيل،
بينما كانت عائلتي تتجول عبر
الأدغال، تخطو في الأنهار الصغيرة
حيث إذا نظرت إلى يمينك أو
يساترك، سترى الجثث والأطراف
الممزقة في كل مكان.
سمكة صغيرة تتغذى على اللحوم
الفاسدة.
نظرتُ إلى الأعلى في الظلام، وكانت
سماء الليل تدور.
كانت النجوم مشرقة وواضحة
وحقيقية.
كدت أن أقتلعها،
الكون كان على قيد الحياة
وكان الصمت أبديا
الحضور الدافئ للأجداد
كان مريحًا للغاية.
في المحيط الكوني
لا أتحدث عن الحياة في مخيمات
اللاجئين، ليس تمامًا في تايلاند، وليس
تمامًا في كمبوديا.
كان الفضاء الثالث من العدم
يتنقل من معسكر إلى آخر
كان المنزل بلا مأوى
كان الوطن هو الشوق تركناه وراءنا.
كان المنزل يتحدث إلى الأشباح
أنا أتحدث عن العثور على طائر
مكسور الجناح
ابحث عن السحالي والضفادع
والثعابين والصراصير
أي شيء على قيد الحياة
تخيّلت أنّها عائلتي
أتحدث إلى الطائر مكسور الجناح
كما لو كان أمي
كم كنت أميل إلى الأجنحة المكسورة
لا أتحدث عن ركوب زورق
اعتاد بعض الصيادين التايلانديين أن
يأخذونا لعبور خليج تايلاند
إلى إندونيسيا، بلدنا الصغير
قارب صغير للغاية
تكاد تبتلعه الأمواج العملاقة.
أتحدث عن رؤية حورية البحر
وسط العاصفة
بينما كان الجميع يبكي ويصلي
إلى بوذا طلبا للمساعدة،
رأيت حورية البحر تطفو بهدوء
في الأمواج المتلاطمة

رحمة الذاكرة

يحكي لي ابن عمي ما شهده:
الطريقة التي جروا بها جاره من
ساقيه،
كيف طلب المكسين الرحمة.
وعندما لم يتوقفوا، نظر الجار
إلى السماء وبكى بهدوء
إزاء لامبالاة الكون.
بعد اختفاء الجار
لم يبق سوى الشمس الحارقة.
كانت السماء زرقاء والطيور تغني
أغانيها الجميلة فوق حقول الأرز.
لا بد أنني كنت في الرابعة من عمري
أو الخامسة، عندما سيطر الخمير
على كمبوديا.
لا بد أنني رأيت وسمعت أشياء.
لا بد أنني شعرت بالخوف عندما
حُملت في الليل على ظهر جدتي.
هذه هي رحمة الذاكرة.
كيف تفتح وتغلق
أبوابًا معينة للحفاظ على نفسها.
فقط ما يكفي من الضوء للذات
استمر، مثل ذكرى الحب
قالت الجدّة لحفيدها:
لا تبك يا ولدي. تذكر فقط!

الحمل

أنا ما بقي بعد الحرب التي يتمت
جيلاً كاملًا.
وما بقي هو معرفة أن ما بقي له
قيمة
الطريقة التي حملت بها الأرض
أجسادنا المتعبة.
كيف بقي القمر ساكنًا بينما عبرنا
الغابات؟
همست أوراق الدعاء وأبقتنا تحت
أشعة الشمس دافئين.
الطريقة التي حملتني بها جدتي على
ظهرها،
الظهر الذي حمل الأرض والضباب،
والأفواه الجائعة
من الأبناء والأحفاد، جسدها الذابل
الزوج، والأرملة التي ربت سبعة
أطفال
كل ذلك بمفردها. كما حملت الأنهار
أحزاننا.
وكيف حملت عماتي موت شبابهن
محتضنات بعضهن البعض مثل
الدمى المحطمة.
كيف حملنا جميعا ذكريات والدتي.
كيف حمل والدي نفسه بعد أن
غادرنا.
في الليل في مخيم اللاجئين، كان
أعمامي يحتضنونني،
الأمل كان حقيقيا مثل الاعتقاد
بذلك،
بغض النظر عما حدث من قبل،
كانت الحياة لا تزال مستمرة.
ثم التفتوا إلى زواياهم من التراب
وبكوا.

بونكونج تون كاتب وشاعر كمبودي. ظهرت أعماله في كوبر نيكل، نيويورك كوارترلي، ماساتشوستس ريفيو، لويل ريفيو، المجلة الأمريكية للشعر، ديود بويتري جورنال، من بين أمور أخرى. يعمل محررًا للشعر في الصحيفة الثقافية الكمبودية اليومية.

عندما نمت أجنحة عصفور برأس والدي

نعومي شهاب ناي
ترجمة: ابتسام بركات

لا يعنيني معرفة مَن معاناته فاقت
معاناة الآخر.
أنا معنية بأن يتغلّب الناس على
المعاناة وحسب..
ذات مرة، حين كان أبي صبيًا
جُرِحَ رأسه بضربة حجر
وثم ينبت الشعر في مكان الجرح
أصابعنا عثرت على تلك الندبة في
رأسه!
الولد الذي وقع تمكن من الوقوف
ثانية.
والآن دلو ملئ بفاكهة الإجاص على
مدخل بيت أمّه
يرحب بعودته
الإجاص لا يبكي
صديقه الذي شجّ رأسه بالحجر
قال أنه كان يقصد اصطياد عصفور
فبدأت تنمو أجنحة عصفور لوالدي.
كلنا يحمل ندبة شئ ما
نسيت الحياة أن تمنحنا أياه
رجل يعمّر منزلا ويقول:
الآن صرت من السكان الأصليين
امرأة تتحدث مع شجرة ترى فيها
ابنها الغائب
فتأتي الشجرة بثمر الزيتون
قصيدة طفل تقول:
أنا لا أحب الحروب. الحروب تنتهي
بأنصاب تذكارية للموتى
ويرسم طائرًا بأجنحة عريضة جدًا
بحجم سقف لمنزلين معًا
لماذا هذا البطء في أيامنا؟
جنود يتربصون بصيدلية
أسلحة كبيرة. أدوية صغيرة.
اذا حنيت رأسك بعض الشئ
سيبدو الأمر تافهًا
في عقلي مكان لا ينمو فيه الكره
أمس لغزه:
ريح، وبذور
شئ ما يخزُنا في منامنا
الوقت متأخر الآن
ولكن بقية كل شئ تتبع..

نعومي شهاب ناي شاعرة وكاتبة سيناريو امريكية من أصل فلسطيني حائزة على جائزة NSK Neustadt للعام 2013 لأدب الأطفال والشباب، بالإضافة إلى جائزة الشعراء الشباب من مؤسسة الشعر للأعوام 2019 - 2022.

مفازات الطريق

هدى الهرمي

نحن لسنا ملائكة !
لم يبق لنا
غير آثار رحلتنا الى الأرض
وذرّات متموّهة في الكون
ترصد حكاية لاجئ
يمتشق الوقت في أخبار الساعة
تحت انظار المطر...

نحن الغاضبون
نحن المّارون
على جسر المتاهة
كحشود صامتة
تتحسّس جفنٍ مُطبقٍ لطفلة
تذورها الريح
لكنها تعتصم بالنشيد المندسّ
في راية وطن
وترتقي لدرجة شهيدة
كلما ضمّتها أرواحنا بقوّة...

كنّا مكابرين في تعقّب الوجود
كأذيال الشمس
وعناوين القصائد
فنرمي النسيان في غبش الليل
ليتضّح سقف الغربة
وأكداس الجثث

لم ندرك المملكة السوداء
والنظرات الفاترة
فقط ملاحم مجانيّة
تُدوزن النواقيس فوق قلاع واهية
ثمّ تسقي "حديقة العالم"

بدمعة ذرفتها السماء فوق محجر
القلب
فأخمدت النار الكامنة فينا

الا انها تبدّت سريعا
على متن السحب الكثيفة
تتبعها ضحكة طليقة
حرّة من كل بئس وضيق
لأطفال الأمس والغد
أصدقاء الشرق والغرب
بلا تشكّل أو تدجين
يهدهدهم مركب المنامات الطويلة
ونقر الأصابع الصغيرة
دون حدّ !
فكان النغم والزّبد
الجدب والخصب
والنهر المهمسك بكينونة الأرض
حيث مفازات الطريق
بين الهدأة
والضجيج
ونبض لا ينحسر تحت الماء
الى آخر الترحال ...

قصيدة ثنائية اللغة من غزة

رفعت العرير

إذا كان يجب أن أموت
إذا كان يجب أن أموت،
يجب أن تعيش
لأحكي قصتي
لبيع أشيائي
لشراء قطعة من القماش
وبعض الخيوط
(اجعله أبيض وذيل طويل)
حتى أن طفلا، في مكان ما في غزة
بينما تنظر إلى السماء في العين
ينتظر والده الذي رحل في حريق -
ولا توذع أحداً
ولا حتى لحمه
ولا حتى لنفسه -

يرى الطائرة الورقية، طائرتي الورقية
التي صنعتها، تحلق في الأعلى،
ويفكر للحظة أن هناك ملاكًا
إعادة الحب.
إذا كان يجب أن أموت
ودعها تجلب الأمل،
فلتكن قصة.

رفعت العرير (1979–2023) كان أستاذًا للأدب العالمي والكتابة الإبداعية في الجامعة الإسلامية بغزة ومحرر كتاب "غزة تكتب مرة أخرى: قصص قصيرة من كتاب شباب في غزة، فلسطين" (2013). قُتل في غارة جوية للجيش الإسرائيلي في 6 ديسمبر/كانون الأول 2023، مع شقيقه وابن أخيه وأخته وثلاثة من أطفالها.

في آخر الأمر

نامق عبد ذيب

(1)
في آخر الأمر
ستعرفُ الشجرةُ أنّ رمادَها
لم يذهبْ سدىً
صار لوناً لفاختةٍ تائهة

(2)
في آخر الأمر
ستتذكّرُ النارُ أنّ ما تطايرَ من اللهب
مجرّدُ قلوبٍ أحرقها النسيان

(3)
في آخر الأمر
كلُّ ما ليس في السؤال
مجرّدُ جوابٍ لا يُعوّلُ عليه

(4)
في آخر الأمر
القصائدُ ليست سوى أبوابٍ
خلفَها أبواب
خلفها جنةُ الشّعر الخالدة

(5)
في آخر الأمر
أنت لا تجهلُ الصّدى القادمَ
من هدير النشيد البعيد

(6)
في آخر الأمر
هناك ما يتبقّى منكِ
وأنتَ تضمحلُّ في ما لا يُرى

(7)
في آخر الأمر
عليكَ أن تمسكَ بما لا يُمسك :
أوهامكَ التائهة

(8)
في آخر الأمر
لك أن تأخذ ربابتك
وتغيبَ في عتابتِكَ
أنت وصداك

ريسان الخزعلي

توقيعات السجن

لم
يكتبْها شعراء..
في السجنِ على الحيطانِ،
وجدتُ قصائدَ دادائيةً..
***
في
السجنِ،
سمعتُ بعضَ
كبارِ السنِّ في نومهِ (ينبحُ)..
***
في
السجنِ ..
البرجُ أوطأُ
نقطةٍ للطيرِ في الأعالي،
لكنّهُ يخشى المقصلةَ أيضاً..
***
يومَ المواجهةِ
الساحةُ لاتسعُ طفلاً ،
لكنَّ الطفلَ ينقلُ الساحةَ قربَ الأسرّه..
***
في
السجنِ..
غابةُ النّزهةِ
أشواكٌ قربَ السياجِ ،
يستظلُّ بها طوالَ القامه..
***
في
السجنِ..
كلُّ الأيامِ عُطَلٌ ،
غيرَ أنَّ الرؤوسَ مساطرُ الانتظار..
***
في
السجنِ..
شَهيّةُ الشاي لا تنتهي ،
ولا أحدَ يردّدُ: خدري الچاي خدريه..
***
في
السجنِ..
كانَ الغناءُ
تحتَ شرشفِ النومِ أطربَ..،
كانَ مرسومَ عفوٍ..،
كانَ جسراً إلى شارعِ النهر..
***
في
السجنِ..
كم تبدو الأسوارُ أليفةً للطيورِ..؟
لكنّي
في سرحةِ خاطر ،
أنوي أن أنسفها بديناميت مُخيلتي..
***
وفي السجنِ..
النومُ حريّةٌ لا تُوفّرها السلطه ،
الأحلامُ وحدَها تعبرُ حائطَ
السجنِ..

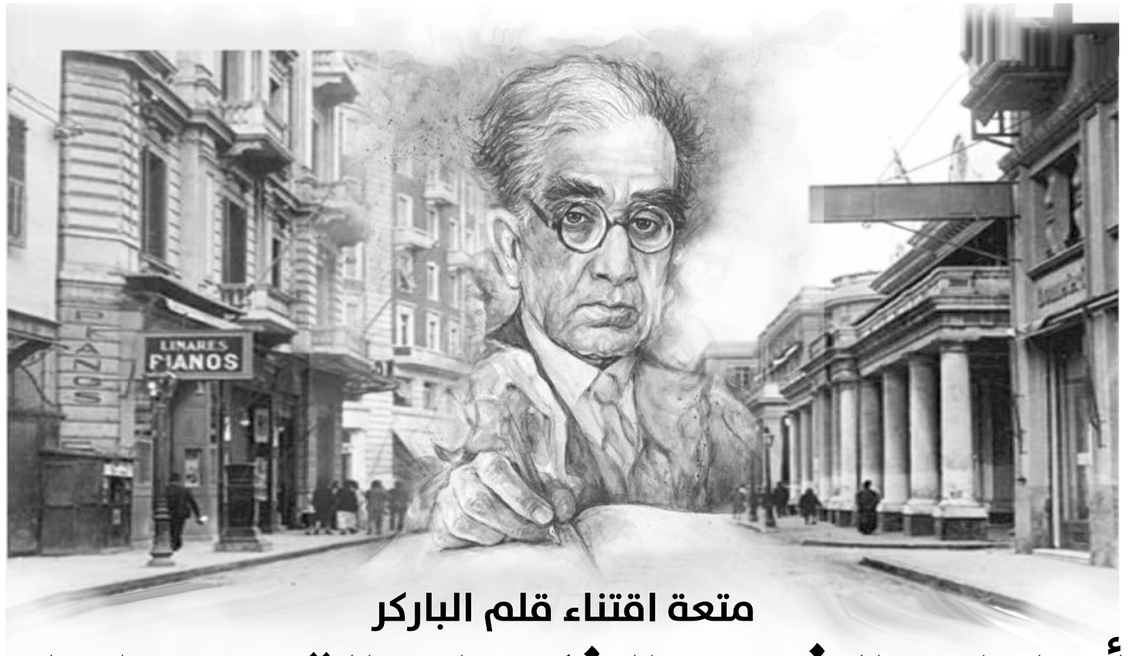

متعة اقتناء قلم الباركر

أساطير الشعر والذكريات التي يحملها

نعيم عبد مهلهل

في عام (1930) أرسلت شركة باركر الأمريكية للأقلام، شحنتها الأولى من أقلام الباركر المبتكرة إلى مصر، بعد إدخال نظام Vacumatic عليها، عبر برميل تخزين الحبر داخل القلم ظاهراً للعيان من خلال برميل مطاطي شفّاف، يستوعب ما يزيد على ضعف كمية الحبر في الأقلام الأخرى.
كان هذا الخبر سارّاً لمعظم كتّاب ومفكري وأدباء مصر، لأن قلم الباركر بسحر خطوطه وانحنائه ولمعان حبره الشذري والأسود والأزرق، منح الكثير من الكتّاب حافز الإبداع والتخيّل وخصوصاً الشعراء منهم. وقد صاحبت بدايات القرن العشرين متغيّرات كثيرة أفرزتها الحرب الأولى وسرقة لوحة الموناليزا، وظهور الحركة السريالية ومدارس الأدب والفن الجديدة.

بدأت الوجبة المرسلة إلى مصر تنفد بسرعة البرق، حتى إن محمد عبد الوهاب، الذي كان في بداياته ملحناً اقتنى عشرة أقلام وعشر محابر لشعوره أن تدوين النوتة الموسيقية في إلهام التلحين الأول، عندما يكون مكتوباً بقلم الباركر يمنحه أجواءً أخرى في تأليف لحن جميل. وقد بدأ يفكر في أن يضع رائعة الشاعر أحمد شوقي (كليوباترا) في لحن يؤديه هو.
وربما تناقش عبد الوهاب وشوقي حول تأثير هذا القلم السحري في جعل القصيدة الخالدة (كليوباترا) لحناً خالداً، وربما بسبب حماس عبد الوهاب لكتابة نوتته الموسيقية بقلم الباركر، اقتنى أحمد شوقي قلماً وبدأ يكتب به قصائده الجديدة.
شحنة من هذه الأقلام أُرسلت إلى الإسكندرية، لشعور وكيل الشركة في القاهرة أن مدينة البحر تضم الكثيرين من الذين يتلهفون لشراء هذا القلم، وفي مساءات شم النسيم سيذرفون من قلوبهم حبر قصائدهم الجميلة وبواسطة هذا القلم.
واحد من هؤلاء شاعر من أصل يوناني، يمكننا التّعرف إليه من خلال نص كتبتُه عنه أنا؛ كاتب الرواية وبقلم الباركر أيضاً، ولكن بعد أكثر من ستين عاماً أعيد هنا نصّاً تعريفيّاً عن هذا الرجل الكهل صاحب النظرة الحزينة والمثيرة، وهو يقود خطوات مشبعة باللّذة الإغريقية ليشتري قلماً يعتقد أن الكتابة فيه ستمنح الكلمات إثارة أخرى بالرغم من أن راتبه التقاعدي قد لا يسمح بشراء قلم سعره غال نوعاً ما.
يوم وصلت أول شحنة منه إلى مصر وبتصميمه الجديد كتبت به تعريفاً عن شاعر، هذا الشاعر هو:
قسطنطين كافافيس الشاعر اليوناني الأصل، الإسكندري الحياة والممات، والذي يمثل شعره اليوم أجمل رؤى الحس والشعور بغرابة اللذة، ويُعدّ ظاهرة شعرية فذّة من ظواهر القرن العشرين لما يمثله شعره من قدرة عالية على رسم غيبيات الأزمنة، فيصف عزلة عاشها وعشقها ليستحضر لذاكرته قارّة من ميثولوجيا التوحد والتعرّي مع فكرة أن تكون إغريقياً مشبعاً بقدرية التبدل لقرن الآلة والحروب العظيمة.
وقد عاش حياته في نزل بنصف إضاءة في حي بيروتي له ذات الروح المتعرجة وعطر أزقة الشوارع التي تسرق من البحر بخار الموج فتجعلها رطبة سعيدة بشرفاتها الحديدية والسنادين الغامقة لأشجار الزعتر الصغيرة التي تنتظر اليد المرتعشة لتعيد إليها ماء نضارتها بعد أن يُنهي الشاعر الموظف دوامه الروتيني في إحدى دوائر العدلية الحكومية.
هذا الرجل اليوناني مدّ يداً مرتعشة ليشتري قلماً بجنيهين، فيما كان سعر أي قلم حبر حوالي ثلاثة قروش. لقد أحسّ الشاعر أن قلماً كهذا يستطيع جيداً أن يكتشف نوافذ أخرى لصوب متعة حسيّة لم تكتشفها كلّ الأقلام التي كتب بها الشعر من صباه وإلى شيخوخته.
شعر بسعادة عندما أخبره المكتبي أن مع أيّ قلم يشتريه، قنينة حبر مجاناً يختار هو لونها.
سأل المكتبي إن كان لديه حبر أحمر؟
قال المكتبي: رجل بعمرك إن أراد أن يكتب فهو يكتب بالحبر الأحمر والأزرق؟
أجاب كافافيس وبخجل الكهل المتواضع: أنا أكتب قصائد حسّية والحسّ يحتاج إلى شهوة، والشّهوة تحتاج إلى الأحمر.
ضحك المكتبي وقال: هذا نحتاجه في تبادل القبلات عندما تضع المرأة الأحمر على شفتيها لتكون أكثر إغراء.
ـ نعم والقصائد أحيانا تحتاج إلى الحبر الأحمر لتكون بلذّة أحمر الشفاه.
ضحك المكتبي وقد عرف لكنة كافافيس اليونانية وقال: أنتم خواجات أثينا تكتسبون الغرام من افروديت وفينوس، ونحن نكتسبه من أغاني بديعة مصابني، وأنت تعرف أيها اليوناني الفرق كبير بين بديعة وافروديت. حتى كليوباترا التي كنّا نتفاخر ببريق أحمر شفاهها، سرقها منا القيصر الذي أتى من جهتكم.
قاد الشاعر قدميه إلى بيت في عمارة قديمة بالدور الثاني حي العطارين- الإسكندرية 4 ش ليبسوس، والمسافة سيراً بين الحي والمكتبة التي اقتنى منها القلم، تمضي بها خطوات شيخ مثله بأكثر من ساعة. وكانت مصابيح الشارع خافتة تضيء بنحافة تلك الخطوط المضيئة في ذاكرته الحسيّة عندما تبدأ عنده الرغبة ليقلل من سطوع ضوء اللّمبة حتى يكتب بإحساس خلسة الليل في احتكاك الأجساد والأرواح مع بعضها، وعلى فرش دافئة يتخيل شراشفها مصنوعة من قطن ناعم أهدتها الملكة المصرية كليوباترا إلى يوليوس قيصر لرسله إلى خياطين مهرة في روما فيصنع منه وسادة لنومه وقميص نوم لغرامه.
وسوف يشاركه قلمه الجديد صناعة صورٍ أخرى لتلك الأخيلة المحبوكة برغبة غامضة أن الحبر الأحمر سيفجّر عاطفة استعادة ما يودّ أن يستعيده، تلك الأجساد الناعمة والشهية لذكور قاتلوا وعادوا منتصرين وهم الآن يسكبون الخمر على إغفاءة إناث ما زلن يحتفظن ببكارتهن من أجل عودتهم سالمين من حروب الإغريق في بابل وفارس وشمال إفريقيا.
لهذا كان يستعجل في خطواته ليصل إلى تلك اللحظة التي يعتقد فيها أن القلم وحبره الأحمر سيفعل شيئاً كبيراً، وحتى المكتبي الذي باعه القلم سكنه الاستغراب من فرق الخطوة قبل اقتناء القلم وبعده ليهمس مع نفسه ضاحكاً:
ـ هذا القلم السحري جعل الشيخ يعود شاباً بالرغم من أن القلم الباركر ليس امرأة، ولا زجاجة خمر مقدّمة إليه من إناث آلهة الإغريق.
يدخل القلم مع الشاعر إلى المنزل، يضعه بهدوء ورفق مع المحبرة على المنضدة الأرابيسك التي تعوّد منذ أن سكن البيت وجعل الإسكندرية منفى لوطنية الشعر لديه، أن يأكل ويشرب عليها وعليها أيضاً يكتب قصائده.
وعندما سأله مرّة صديقه الروائي لورنس داريل: ألا تزعجك رائحة الطعام وتوابله عند البدء بكتابة قصيدة؟
يردّ الشاعر: هذه الأريكة عجيبة، تمحي أثر كلّ ما كان عليها وتبدأ مع جميل ما تشعر أنه يُمارس عليها الآن. فقط تبقى لي قليلاً من رائحة زجاجة الخمر لشعورها أن الخمر هو عطر القصيدة. وأظن أنها على حق.
يذهب لتحضير مائدة العشاء، ففي الصباح سمع صاحب عربة السمك ينادي على سكان حي العطارين أنّ لديه سمك الكنبري الطازج وبحجم كبير، خيرٌ وهبه بحر الإسكندرية لهم وعليه أن يبيعهم هذا الخير بسعر رخيص.
اشترى الشاعر ثلاث قطع كبيرة وهو ينوي أنه سيشتري القلم في الظهيرة، وفي الليل عليه أن يقيم وليمة من أجله عند البدء بكتابة أول إلهام يمنحه القلم الجديد.
يضع الآن القطع الثلاث في المقلاة وقد تعوّد أن لا يقلي السمك إلا بزيت الزيتون اليوناني الذي كان يشتريه خصيصاً من العطار ماتريوس الذي يأتي به من جزر سالونيك من أجل رعايا الجالية الكثيرين والذين يعيشون في الإسكندرية منذ عهد بطليموس وفيثاغورس وما قبلهما.
يبدأ بتحضير زجاجة النبيذ، وعبق خفي من رائحة الزيت على النار يذكره بغابات جزر بلاده التي لم يعش فيها أبداً.
كانت كلّ حياته مرتبطة ببواخر أبيه وهي تحمل التبغ من ميناء إلى آخر. وعندما رأى الإسكندرية لأوّل مرّة، شعر أن روحه من تختارها وأنه يستطيع أن يجلب أثينا إلى هذا المكان في أي وقت.
يتذكر إرشادات باعة القلم حول ملئه بالحبر، أن يغطّس ريشته المعدنية الناتئة بالحبر ويضغط على الأنبوب المطاطي بأطراف أصابعه ثم يتركها لتسحب الحبر إلى داخل الأنبوبة، وعند الامتلاء يكون القلم جاهزاً للكتابة.
ابتسم وقال: النبيذ أحمر والحبر أحمر، وحتماً القصيدة الأولى ستكون حمراء. لهذا هو يشعر بسعادة لأن القلب أصبح جاهزاً الآن ولكن ذاكرته لن تجهز إلا عندما يبدأ بارتشاف القطرات الأولى من نبيذه ثم يمدّ يده إلى الماعون الخزفي ليلتقط لفمه قطعة كنبري صغيرة، ويفرح حين يبدو له صوت طحن عظام السمك بين أسنانه مثل موسيقى صاخبة ستنتهي برشفة أخرى، والتفكير بعنوان مثير لتلك الأطياف الحسيّة التي جعلت الليل بالنسبة له جسداً يُغنيه عن أشهى رقص تمنحه أنثى لأولئك الذين يترنحون الآن في الملاهي والحانات وبيوت المتعة.
لقد ودّع قلمه القديم الذي ورثه من ممتلكات أبيه. القلم الذي صنعه لأبيه حرفيٌ من أهل إسطنبول ونقش على بدنه زخرفة عثمانية، ويوم صنعه الرجل قال لأبي الشاعر أنا صنعت أقلاماً لسلاطين وولاة وباشوات وكلّهم أترك. أنت اليوناني الوحيد الذي صنعت له قلماً. ولو عرفوا ذلك سيعيدون إلي الأقلام ويطالبونني بأضعاف أثمانها. لأن أحد السلاطين قال لي وأنا أقدم له القلم: أيها الحرفي اجعل أقلامك دوماً وأبداً تكتب كلمات تركية.
وها هو يودع القلم الذي لم يكتب به مفردة تركية واحدة، كانت لغته مزيجاً من حروف يونانية قديمة وقد رسمها بمشاعر لاتينية لتجمع الماضي بالحاضر.
وسيكون الآن مع القلم الجديد أكثر حماساً وإيماناً بأن الذي يشعره مع أطياف ذلك الماضي سيستعاد بشكل أجمل وأكثر، وسرى خيول اسبارطة في مراعي الحلم تبحث عن حلمة ثدي لملكة هربت مع عشيقها، وسيفهم جيداً ماذا تعنيه اللّحظة الإغريقية عندما يتقدم زيوس بخطواته المدوّية إلى الأرض ليضاجع واحدة أغرته مشيتها الأنثويّة في شوارع الإسكندرية.
كانت قدرة القلم الإسطنبولي كتابة قصيدة واحدة عندما يغطسه بالمحبرة، الآن بمقدور الباركر أن يكتب أكثر من عشرة قصائد كلما امتلأ الأنبوب المطاطي بالحبر.
الليلة سيجرب ذلك، سيتخيل أن الريشة الذهبية للقلم تمشي بخطوات موسيقيّة على طرقات خدود الجنود الحمر والقادمين من معاركهم الأسطورية وقد منحهم النصر شهية امتلاك فحولة صبيانية حتى لو حدث الأمر فيما بينهم فثمة ما يجعل القلم يرقص فرحاً وهو يدنو من خلال كلمات الشاعر إلى الحديث عن فضيحة اللذة والشهوة بين فتوة الجنود الإغريقية.
لقد بدأ الآن بطقوس توديع قلمه القديم، وعليه أن يركنه في زاوية مرتبة مع أنتيكات البيت لأنه يدرك بحسّ ما تتفرد به روحه الشعرية أن المكان سيتحول في يوم ما إلى متحف وسيجئ أناس من أمكنة شتى وسينظرون بحب إلى القلمين وربما سيتحدث كلّ قلم عن منجزه الروحي مع الشاعر.
يتذكر سعادة القلم الإسطنبولي، ويصدق حكاية من والدته تقول إن بدن القلم الخشبيّ مأخوذ من قطعة خشبية لسارية واحدة من السفن التي دكّ بها السلطان العثماني محمد الفاتح أسوار الإسكندرية، فكان يشعره هذا بشيء من الحزن والفرح معاً، فقدان إمبراطورية وكنيسة الدين الذي ينتمي إليه كمسيحي أرثوذكسي غير متديّن، وسعادة أن التأريخ يمشي مع الريشة الناعمة للقلم التركي.
ولكنه ما إن قرأ إعلان الصحيفة عن وصول شحنة القلم الباركر بتصميمه الجديد وقدرته على استيعاب الكثير من الحبر حتى أغراه هذا برغبة أن يحمل الجنيهين في جيبه ويذهب إلى المكتبة ويلحق آخر قلم موجود عند المكتبي فقد تقاطر مثقفو الإسكندرية منذ الصباح الباكر على شراء القلم، فحتى رسامو المدينة فضّلوا شراءه ليرسموا به عشيقاتهم وسفن البحر والحياة في الإسكندرية.
قال له المكتبي: لو تأخرت دقيقة واحدة أيها اليوناني لأتى غيرك واقتنى القلم.

كانت كلّ حياته مرتبطة ببواخر أبيه وهي تحمل التبغ من ميناء إلى آخر. وعندما رأى الإسكندرية لأوّل مرّة، شعر أن روحه من تختارها وأنه يستطيع أن يجلب أثينا إلى هذا المكان في أي وقت

ابتسم وهو يرد على الرجل: اسمي كافافيس يا سيدي، قسطنطين كافافيس.
ـ عندما أنطق اسمك يا سيد كافافيس أجد فيه موسيقى شعرية كبيرة، أتمنى أن تكتبه كأول كلمة يدوّنها هذا القلم.
ـ سأفعل، بالرغم من أني لا أكتب اسمي قبل كتابة عنوان القصيدة، ولكن بناءً على رغبتك سأفعل.
ومتى انتهى من وجبته البحرية ذهب إلى أريكة الكتابة، وقد حضّر مستلزمات الليلة مع دورة أسطوانة وهي تهمس بلحن يوناني قديم عن قصة بحّار من جزيرة كريت عقد غراماً ليلياً مع واحدة من حواري البحر عندما أنقذها من قراصنة قساة جاؤوا من جهة إفريقيا.
قرّب شفتيه من حافّة الكأس، ففي كل مساء تشعره ملامسة النبيذ أن عالماً بعيداً يدخل إلى روحه عن طريق فمه وعليه الليلة أن يعبّر عنه بهواجس ما كان يحدث في المكان الذي لا يفصله عنه سوى البحر.
ينظف مائدته، وربما هو الوحيد بين شعراء العالم من يطيق رائحة السمك مع طقس كتابة بشكلها الهيليني، وتمنى أن يكون عنوان نصه هو(كافافيس وذكور القلم الباركر).
وجده عنواناً مثيراً فتشجع ليُدخل جرعة النبيذ الأولى إلى جوفه بسرعة وليس كما تعوّد أن يرتشفها بهدوء، فربما يريد أن يلتقي مع كتابته الجديدة بسرعة أكبر فذهب مسرعاً لتحضير كأسه الثاني، ثم يذهب إلى قلمه الجديد ليتأمله بشيء من عاطفة غريبة وهو يدرك أن بعض الذين يسكنهم إلهام الكلمات تتحول الأقلام لديهم إلى ما يشبه عاطفة الأنوثة.
وبالرغم من أنه غادر الشوق إلى ما يحسّه في أن الجمال المسكون بلطافة الفتيان يمنحه طاقة لاستعادة صور ذكريات لذيذة يوم سكن هذه المدينة لأول مرة، عندما كانت راقصة الهلهى فريدة تمنحه مشاعر الرغبة قبل أن يغيّر مساره الروحي في الاشتهاء ويعود إلى تواريخ أزمنة بلاده القديمة وافترضها كافية لإشباع ما يتمنى الحصول عليه. كم يتخيّل الأمر غراماً صوفياً ولكنه يجلبه بطريقته اللاتينية التي يتصاعد فيها حماس تخيُّله أن الليل والخدود والكؤوس وصوت موسيقى غريبة تستطيع أن توفر لقلمه الجديد أجواء جديدة من البوح.
كان يذهب من أجل فريدة كلّما استلم معاشه، يخزّن في عينيه ما كان جسدها يمنحه من إثارة، وعندما شعر النادل عاطف أن الرجل اليوناني يأتي يوماً واحداً من أجل فريدة همس له: هي من دون رجل وتبحث عن واحد ترقص له في الليل وحده.
ابتسم كافافيس وقال: ولكنها ربّما لا تقبل أن تقترن بيوناني.
قال النادل: أنا أعرفها جيداً، حتى تتخلص من خشونة مشاعر البحارة الثملين معها ترضى حتى بيهودي بالرغم من أنها مسلمة.
قال كافافيس: سأفكر بالأمر...
بعد شهر عاد الشاعر مع قناعة أنه يريدها، فكان ردّ النادل:
لقد تأخرت أيها اليوناني، لقد رضِيتْ بتاجر خردوات يهودي وهاجرت معه إلى حيفا.
ومن يومها لم يعد كافافيس يذهب إلى الملهى حتى عندما أبدلوا فريدة براقصة أجمل منها، ولكنها لا تعرف أن تهزّ خصرها كما كانت فريدة تفعل. فقد كان يشعر ويتمنى أنه لو كان رساماً لأبقى جسد فريده معه في غرفة نومه لوحةً على الجدار، ولكنه يستطيع أن يتخيّلها تعوم مثل حورية في بحر سريره البارد وستجلب إليه الدفء.
هو الآن يشعر أن قلمه بمقدوره أن يتحوّل إلى آلة موسيقية وهو يتذكر فريدة بعد مرور كل هذه السنوات، وأنه يستطيع أن يدوّن كلمات موسيقية تغري فريدة لتعود من حيفا لترقص أمامه الآن وهي تصعد فوق طربيزة، منتشية بهاجسه الذي يأتي هامساً من لمعان الحبر، وما إن تنتهي القصيدة حتى يتعالى تصفيق الجنود وهم يعلنون إعجابهم كما قيصر بهذا الجمال الشرقي.
يهمس لهم: لا تتركوني من أجل راقصة فأنا أحبكم أكثر منها. وحتى يبعدهم عن جسد الراقصة، يرغمهم على العودة إلى عناوين رغبته الدفينة فيفضل كتابة قصيدة أخرى عن إيثاكا ليرسم لهم يولسيس راقصاً في عودته إلى وطنه.
يهمس مع نفسه: الكل يعود إلاّ أنت،
فيكرر آخر بيت من قصيدة المدينة المحبوبة إلى قلبه:
((ليس ثمة سفينة لأجلك، ليس ثمة طريق.
بينما كنت تبدد حياتك هنا،
في هذا الركن الصغير،
دمرتها في كل مكان آخر من العالم)).
وبالرغم من هذا فهو يشعر أنه يعود إلى إيثاكا كل ليلة، لأنها الغياب الذي يشتاق إليه في صورة مدينة، وربما سيدرك مع الحبر الأحمر لقلمه الجديد أن بمقدوره أن يصنع مركباً قوياً يصارع به موج البحر في عودته الثانية إلى المكان الذي جعله هاجساً للّذة والتخيّل والاستذكار وسوف يبقى حتى مماته في المكان ذاته وما يأخذه إليه سوى سفن الخيال وهو يتمتع برشفة أخرى من نبيذه المفضل، ومتى يعيد الكأس إلى مكانه.

"والآن، وأنا أكتب بعد كل هذه السنين، وحيداً في بيتي هذا، أشعر أنّني أثمل بنبيذ الرّغبة مرّة أخرى".

كافافيس

ونحن نعد هذه المادّ للنشر في "الطريق الثقافي" أعلنت وكالة "وفا" الفلسطينية للأنباء عن اعتقال قوات الاحتلال الإسرائيلي، القيادية السياسية في اليسار الفلسطيني، خالدة جرار، من منزلها بالضفة الغربية. وأفاد شهود عيان للوكالة، أن قوات الاحتلال اقتحمت مدينة البيرة، واعتقلت جرار بعد تفتيش منزلها.

وتعد جرار شخصية بارزة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ثاني أكبر فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وانتخب عضوا في المجلس التشريعي في الانتخابات النيابية الأخيرة التي أجريت في العام 2006.

ولدت جرار في مدينة نابلس شمال الضفة الغربية في 9 فبراير 1963. حاصلة على درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال ودرجة الماجستير في الديمقراطية وحقوق الإنسان من جامعة بيرزيت. عملت مديرة لجمعية الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان. وترأس حاليًا هيئة الأسرى في المجلس التشريعي الفلسطيني، بالإضافة إلى دورها في اللجنة الوطنية الفلسطينية للمتابعة مع محكمة الجنايات الدولية.

إن المكانة البارزة التي تتمتع بها خالدة جرار كزعيمة فلسطينية ملتزمة بفضح جرائم الحرب الإسرائيلية أمام المؤسسات الدولية، جعلتها هدفا للاعتقالات الإسرائيلية المتكررة والاعتقالات الإدارية. تم اعتقالها عدة مرات.

المناضلة الفلسطينية اليسارية خالدة جرار:

السجن فن اكتشاف الإمكانيات

إعداد الطريق الثقافي

كانت المناضلة اليسارية خالدة جرار قد أُعتقلت من منزلها في رام الله في 31 أكتوبر 2019. وخلال فترة سجنها الأخيرة، توفيت إحدى ابنتيها سهى عن عمر يناهز 31 عامًا. على الرغم من الحملة الدولية للسماح لخالدة بحضور جنازة ابنتها يوم 13 تموز/ يوليو 2021، رفضت الحكومة الإسرائيلية جميع الطلبات والطعون. لكنّها تمكنت في النهاية من تهريب رسالة حزينة وباكية موجهة إلى ابنتها سهى لتكون بمثابة وداع أخير. (نص الرسالة في الصفحة المقابلة).

خالدة جرار هي واحدة من الأمثلة العديدة التي استلهم منها المقاومون الفلسطينيون صمودهم ومقاومتهم داخل السجون الإسرائيلية، حيث وجدوا فرصًا للمقاومة، رغم احتجازهم، ورغم الأمّ الجسدي والتعذيب النفسي. علاوة على ذلك، بدلاً من النظر إلى السجن باعتباره حبساً قسرياً، استغلته خالدة جرار كفرصة لتثقيف وتمكين زميلاتها السجينات. والحقيقة أن إنجازاتها في السجن غيرت وجه حركة الأسرة الفلسطينية.

تقول خالدة جرار: السجن ليس مجرد مكان مصنوع من أسوار عالية وأسلاك شائكة وزنزانات صغيرة خانقة وأبواب حديدية ثقيلة. إنه ليس مجرد مكان يتم تحديده من خلال صوت قعقعة المعدن؛ في الواقع، إن صرير المعدن أو رنينه هو الصوت الأكثر شيوعًا الذي ستسمعه في السجون، عندما يتم إغلاق الأبواب الثقيلة، وعندما يتم نقل الأسرّة الثقيلة أو الخزائن، وعندما يتم تثبيت الأصفاد في مكانها أو فكّها. حتى (البوسطة)، العربات سيئة السمعة التي تنقل السجناء من سجن إلى آخر، هي بمثابة وحوش معدنية لا روح لها. السجن أكثر من كل هذا. إنه أيضًا قصص الأشخاص الحقيقيين ومعاناتهم اليومية ونضالاتهم ضد حراس السجن وإدارته. السجن موقف أخلاقي يجب أن تقوم به يوميًا ولا يمكنك تركه خلفك أبداً.

السجن عبارة عن رفاق، أخوات وإخوة، مع مرور الوقت، يصبحون أقرب إليك من عائلتك. إنّه عذاب وألم وحزن شائع، وعلى الرغم من كل شيء، أيضًا الفرح في بعض الأحيان. في السجن، نتحدى الحارس المسيء معًا، بالإرادة والإصرار نفسه، كي لا يكسرنا. هذا النضال لا ينتهي أبدًا، أنّه يتجلى في جميع الأشكال الممكنة، من مجرد رفض وجباتنا، إلى حبس أنفسنا في غرفنا، إلى أصعب الجهود الجسدية والفسيولوجية، وهي الإضراب المفتوح عن الطعام. هذه ليست سوى بعض الأدوات التي يستخدمها السجناء الفلسطينيون للنضال من أجل حقوقهم الأساسية وكسبها والحفاظ على بعض كرامتهم.

السجن هو فن استكشاف الإمكانيات؛ إنّه مدرسة تدربك على مواجهة التحديات اليومية باستخدام أبسط الوسائل وأكثرها إبداعًا، سواء كان ذلك إعداد الطعام أو إصلاح الملابس القديمة أو إيجاد أرضية مشتركة حتى نتمكن جميعًا من الصمود والبقاء على قيد الحياة معًا.

في السجن، يجب أن ندرك الوقت، لأنه إذا لم نفعل ذلك، سوف يتوقف. لذلك، نحن نبذل كل ما في وسعنا لمحاربة الروتين، ونغتنم كل فرصة للاحتفال وإحياء ذكرى كل مناسبة مهمة في حياتنا، سواء كانت شخصية أو جماعية.

إن القصص الفردية للسجناء الفلسطينيين هي تمثيل لشيء أكبر من ذلك بكثير، حيث يعاني جميع الفلسطينيين من السجن بأشكاله المختلفة بشكل يومي. علاوة على ذلك، فإن رواية الأسر الفلسطينية ليست تجربة عابرة تخص الشخص الذي عاشها فقط، بل حدثٌ يهز في الصميم الأسرة ورفاقها وعائلتها ومجتمعها بأكمله. تمثل كل قصة تفسيرًا إبداعيًا لحياة عاشتها، على الرغم من جميع الصعوبات، إنسانة ينبض قلبها بحب وطنها وتتطلع بلهفة إلى حريتها الثمينة.

كل رواية فردية هي أيضًا لحظة حاسمة، صراع بين إرادة حارس السجن وكل ما يمثله، وإرادة السجناء وما يمثلونه كمجموعة قادرة، عندما تتحد، على التغلب على الصعاب التي لا تصدق. إن تحدي الأسرى الفلسطينيين هو أيضًا انعكاس للتحدي الجماعي والروح المتمردة للشعب الفلسطيني، الذي يرفض الاستعباد في أرضه، وهو مصمم على استعادة حريته، بالإرادة والعزيمة نفسها التي كان يحملها جميع المنتصرين، في الأوطان التي كانت مستعمرة ذات يوم.

إن المعاناة وانتهاكات حقوق الإنسان التي يعيشها الأسرى الفلسطينيون، والتي تتعارض مع القانون الدولي والقانون الإنساني، ليست سوى جانب واحد من قصة السجن. أما الجانب الآخر فلا يمكن فهمه ونقله إلا من قبل أولئك الذين عاشوا هذه التجارب المروعة. في كثير من الأحيان، يغيب عن قصة الأسرى الفلسطينيين ذلك المسار الإنساني المُلهم للرجال والنساء الفلسطينيين الذين تمكنوا من البقاء على قيد الحياة أثناء لحظات حاسمة، بكل تفاصيلهم وتحدياتهم المؤلمة.

فقط بواسطة التعمق في رواية السجناء، يمكنك أن تبدأ في تخيل شعور فقدان أمّك الحنون أثناء احتجازك في زنزانة صغيرة، وكيفية التعامل مع ساق مكسورة، وتركك من دون زيارة عائلية لسنوات، وكيف يستخدمون الوقت، لحرمانك من حقك في التعليم والتعامل مع وفاة الأبناء والرفاق المقربين.

في حين أنه من المهم أن تفهم المعاناة التي يتحملها السجناء، مثل أعمال التعذيب الجسدي العديدة والعذاب النفسي والعزلة المطولة، يجب عليك أيضًا أن تدرك قوة الإرادة الإنسانية، عندما يقرر الرجال والنساء القتال، من أجل المقاومة واستعادة حقوقهم الطبيعية والاحتفاظ عنوة بإنسانيتهم. يمكن أن تتخذ المقاومة أشكالاً عديدة. طوال فترات سجني المختلفة كسجينة سياسية في السجون الإسرائيلية، شاركت أنا أيضًا في مختلف أشكال المقاومة داخل جدران السجن. بالنسبة لي، أصبح تعليم الأسيرات الفلسطينيات أولوية ملحة.

إنّ تعامل الأسيرات في سجون الاحتلال الإسرائيلي بشكل مختلف بعض الشيء عن الرجال، ليس فقط من حيث طبيعة الانتهاكات المرتكبة ضدهن، بل أيضًا في درجة عزلتهن. ونظرًا لأن عدد السجينات أقل بكثير من عدد السجناء، فمن الأسهل على سلطات السجون الإسرائيلية عزلهن تمامًا عن بقية العالم. علاوة على ذلك، لا يوجد سوى عدد قليل من السجينات الحاصلات على شهادات جامعية؛ ومستوى التعليم بين هؤلاء النساء منخفض بشكل مثير للقلق.

لقد كنت على علم بهذه الحقائق بالفعل عندما اعتقلتني سلطات الاحتلال في العام 2015، وقضيت معظم فترة اعتقالي في سجن هشارون تطبيقها على السجينات اللاتي يرغبن في الدراسة والإستعداد لامتحاناتهن النهائية. كانت مجموعتي الأولى من الطالبات تتألف من خمس نساء متحمسات قبلن التحدي بعزيمة وإصرار.

في تلك المرحلة المبكرة، لم تكن إدارة السجن على علم تام بطبيعة "عمليتنا"، لذا كانت قيودها مجرد تقنية وإدارية. كانت التجربة، في الواقع، جديدة علينا جميعًا، وخاصةً بالنسبة لي. يجب أن أعترف أنني ربما بالغت في توقعاتي في محاولتي لضمان درجة عالية من الاحتراف الأكاديمي في إدارة فصولي والإعداد للامتحان النهائي. أردت فقط التأكد من أنّني لم أنتهك مبادئي بأي شكل من الأشكال، لأنّني أردت حقًا أن تحصل الفتيات على شهاداتهن ويتوقعن المزيد من أنفسهن.

كان لدينا القليل من اللوازم المدرسية. في الواقع، كان على كل صف أن يتقاسم كتابًا دراسيًا واحدًا تركه الأطفال الفلسطينيون الأسرى قبل أن يتم نقلهم من قبل مصلحة السجون إلى منشأة أخرى. قمنا بنسخ الكتب المدرسية القليلة باليد؛ وبهذه الطريقة، تمكنت العديد من الطالبات من متابعة الدروس في الوقت نفسه.

كان الفصل الواحد ويمتد، في بعض الأحيان، لساعات عدة، مما يعني أنّهن سيفقدن طوعًا فترة الراحة الوحيدة الخاصة بهن في اليوم الذي يُسمح فيه بمغادرة زنازينهن. كان لدينا الكثير لنغطيه والقليل من الوقت. وفي النهاية، أدى الامتحان خمس طالبات، وأُرسلت نتائج امتحاناتهن إلى وزارة التربية والتعليم للتأكد من صحتها. وبعد أسابيع، ظهرت النتائج. لقد نجحت اثنتان من الطالبات.

لقد كانت لحظة غير عادية، وسرعان ما انتشرت أخبار حصول طالبتين على شهاداتيهما وهن في السجن، بين جميع السجناء وعائلاتهم والمنظمات التي تدافع عن حقوق المعتقلين. احتفلت الفتيات بالخبر، وشعرت جميع رفيقاتهن بالسعادة من أجلهن. وفي وقت قصير، قمنا بالتعبئة مرة أخرى، واستعددنا لتخريج مجموعة أخرى من جديدة. ومع ذلك، كلما زاد الاهتمام الإعلامي بإنجازنا، زاد قلق سلطات السجون الإسرائيلية.

لم أتفاجأ على الإطلاق بأن مصلحة السجون قررت أن تجعل الأمر صعبًا على المجموعة الثانية، المكونة أيضًا من خمس طالبات، خضن التجربة نفسها. لقد كانت معركة حقيقية، وكان لدينا الإستعداد كله لخوضها حتى النهاية، بغض النظر عن الضغوط. أبلغتني إدارة السجن رسميًا أنّه لم يعد مسموحًا لي بتعليم السجينات. لقد ضايقوني مرارا وتكرارا، وهددوا بإرسالي إلى الحبس الانفرادي. ولكنني أعرف القانون الدولي جيداً، وقد واجهت الإسرائيليين مراراً وتكراراً بحقيقة أنني أفهم حقوق السجناء وليس لدي أي خطط للتراجع. ورغم كل هذا، تمكنتُ من تدريس المجموعة الثانية من الفتيات، وتحضيرهن للامتحانات بنفسي، بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم. هذه المرة، نجحت جميع الطالبات الخمس اللواتي تقدمن للامتحان. لقد كان انتصارا عظيما.

بعد ما حققناه، أدركت أن هناك حاجة لمأسسة التجربة التعليمية للسجينات، وعدم ربطها بي أو بشخص واحد. ولكي ينجح هذا الأمر على المدى الطويل، فإنّه يحتاج إلى جهد جماعي، ومهمة تدافع عنها جميع النساء في السجون، لسنوات مقبلة. لقد ركزتُ كثيراً على تدريب السجينات المؤهلات، من خلال إشراكهن في التدريس وتعريفهن بالأعمال الإدارية التي تتطلبها وزارة التربية والتعليم، كما قمت بإعداد الجهاز لضمان انتقال سلس للمجموعة الثالثة من الخريجات، إذ كنت أتوقع إطلاق سراحي الوشيك.

بالفعل أُطلق سراحي في حزيران/ يونيو 2016، وعلى الرغم من عودتي إلى حياتي العادية وعملي المهني، إلا أنني لم أتوقف عن التفكير برفيقاتي في السجن، ونضالاتهن وتحدياتهن اليومية، خاصة أولئك اللواتي كن حريصات على الحصول على التعليم الذي يحتجنه ويستحقنّه. لقد شعرت بسعادة غامرة عندما علمت أن سجينتين قدمتا الامتحانات النهائية بعد مغادرتي، وتخرجتا بنجاح. شعرت بالسعادة كما شعرت عندما تم إطلاق سراحي ولم شملي مع عائلتي. لقد شعرت بالارتياح أيضًا كون النظام الذي قمت بتطبيقه قبل إطلاق سراحي كان يعمل. الأمر الذي أعطاني الكثير من الأمل في المستقبل.

في تموز/ يوليو 2017، اعتقلني الجيش الإسرائيلي مرّة أخرى، لمدة 20 شهرًا هذه المرة. عدت إلى سجن هشارون نفسه. وكان عدد السجينات أكبر بكثير من ذي قبل. وعلى الفور، وبمساعدة سجينات مؤهلات آخريات، بدأنا بالتحضير لتخرج المجموعة الرابعة. هذه المرّة، كانت تتكون من تسع سجينات يدرسنّ للامتحان، وكان هناك المزيد من المعلمات والإداريات المتطوعات. لقد ازدهر السجن فجأة بالحماس، وتحول إلى مكان للتعلم والتمكين. "يتبع"

النائبة الفلسطينية خالدة جرار تزور قبر ابنتها في الضفة الغربية المحتلة بعد إطلاق سراحها من سجن إسرائيلي في 26 سبتمبر 2021 حيث قضت عامين في الاعتقال، وفي الإطار صورة الشهيدة الشابّة سهى جرار. الصورة: عباس المومني/ وكالة الصحافة الفرنسية.

رسالة خالدة جرار إلى ابنتها الشهيدة سهى من السجن..

"سهى يا عزيزتي..
لقد حرموني من طبع قبلة الوداع الأخيرة على خدك الحبيب.
لكنّني وفي زحمة يأسي وحزني
ها أنا أودعك من سجني بزهرة ناحلة.
سيكون غيابك مؤلمًا للغاية،
لكنّني أعدك بأن أظل صامدة وقوية، مثل جبال فلسطين الحبيبة.
لن أتحطم أبدًا لذكراك أيّتُها الغالية، لأنّني أدرك بأنك لا تريدي أن أفعل.
سأزور قبرك حال خروجي من السجن، وأزرع فوقه زهرة الأقحوان التي تحبينها، وسأحتضنك بقوة، وأطبع قبلة، هي خلاصة روحي، على الرخام، علّها تصلك وأنت في فردوسك الأعلى يا حبيبتي".

أمّك المُحبّة خالدة

ناقش تعزيز اللغة العربية في التعليم لبناء مجتمعات أكثر شمولاً

إنعقاد مؤتمر الخبراء الأقليمي للغة العربية

القاهرة- محمدعويس

استضافت الجامعة الأمريكية مؤخرا بالقاهرة مؤتمر الخبراء الإقليمي للغة العربية "تعزيز اللغة العربية في التعليم لبناء مجتمعات أكثر شمولاً" والذي نظمته بالتعاون مع مؤسسة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية والمكتب الإقليمي لمنظمة اليونسكو في بيروت بهدف تسليط الضوء على التحديات المتعددة الأوجه التي تواجه اللغة العربية في المجتمعات المعاصرة، وإبراز الدورّ الجوهري الذي تضطلع به هذه اللغة كعامل محفز لتحقيق الشمول في المجتمعات العربية.

إضافة إلى التعريف بالاستراتيجيات المبتكرة التي تتيح مسارات عملية لتعزيز اللغة العربية، وإفساح المجال لحوارات ثرية وللتعرف على قصص نجاح ملهمة. أيضاً إتاحة فرص للتعاون والمشاركة بين الخبراء والممارسين والفاعلين الأساسيين من مختلف البلدان العربية، في المشرق والمغرب والخليج العربي، لتتضافر جهودهم لتقديم توصيات واقتراح إجراءات ملموسة تسهم في تعزيز اللغة العربية والنهوض بمجتمعاته.

تحدث في المؤتمر نخبة من الخبراء وكبار المسئولين والأساتذة من مصر ولبنان والمملكة العربية السعودية والأردن والمغرب وسوريا وليبيا والبحرين والجزائر من وزارة التعليم والتعليم الفني بمصر والجامعة الأمريكية بالقاهرة ومؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية ومنظمة اليونسكو والجامعة اللبنانية والأمم المتحدة ووزارة التربية والتعليم في الأردن ومكتب التربية العربي لدول الخليج والمجلس الأعلى للغة العربية ومنظمة أنقذوا الأطفال والبنك الدولي ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة وكلية البحرين للمعلمين وغيرها.

في كلمته في افتتاح المؤتمر أكد وزير التربية والتعليم والتعليم الفني المصرى الدكتور رضا حجازى، أنه لا شك أن اللغة هي الهوية ووعاء الفكر ولا يستطيع الإنسان أن يفكر إلا من خلال لغته الأم، وإذا تمكن الإنسان من لغته الأم يستطيع أن يتعلم أكثر من لغة، وإن قمة «تحويل التعليم» بنيويورك كشفت عن أن 70% من الدول الفقيرة والمتوسطة لا يجيد أطفالها قراءة نص بسيط، مؤكدًا على استخدام الوزارة لاستراتيجيات حديثة تتمثل في الجمع بين المدخل الصوتي والطريقة الجزئية، وتدريس القواعد لتمكن الطالب من التواصل وتذوق اللغة.

وأشار حجازى إلى أن الطفل يتعلم في بيته اللغة العامية ويتعلمها في المدرسة باللغة الفصحى فيحدث لديه ازدواج للغة، مما يترتب عليه عدم حدوث ألفة للغة وعدم الإقبال على تعلمها، مؤكدا على أهمية القراءة الحرة في تعزيز اللغة لدى الطلاب. وأكد الوزير أهمية تعظيم دور وسائل التكنولوجيا الحديثة كالمنصات في نشر اللغة الفصحى بين الأفراد، وتوظيفها لصالح اللغة العربية، وإتاحة منصة ديناميكية للمعلمين، كما يجب تضمين القضايا الحياتية في الكتب ونصوص القراءة لتمكين الطالب من التواصل والتعبير عن ذاته، مؤكدًا أن مناهج المرحلة الابتدائية تتضمن قائمة المهارات الحياتية وهي أحد المبادئ التي قام عليها منهج اللغة العربية، مشيرا إلى أهمية التركيز على تنمية جميع مهارات القراءة والكتابة والاستماع وفهم المقروء.

وتابع الوزير أن اللغة العربية تكتسب أهميتها من كونها لغة القرآن الكريم؛ إلى جانب أنها الرابطة الأقوى في دعم التواصل بين أبناء الأمة العربية، والمعبرة عن وجدانهم وهويتهم وشخصيتهم، ومخزون تراثهم الفكري والعلمي والإبداعي ووعاء حضارتهم العربية الأصيلة، خاصة في ظل الظروف والمتغيرات الإقليمية والدولية الحالية.

وأشارالدكتور أحمد دلال رئيس الجامعة الأمريكية، خلال كلمته الى أن الجامعة تسعي من خلال المؤتمر إلى تطوير سبل تطبيق المنهج التواصلي بشكل أوسع لتعزيز اللغة العربية، مشيدا بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم المثمر على مدار السنوات من خلال تطوير مناهج تعليم اللغة العربية في المدارس بشكل أعمق وأشمل من مجرد التركيز على ضبط قواعد النحوية وأضاف "إننا نسعي للمشاركة لتمكين اللغة العربية بشكل فعال بالإضافة إلى مشاركة المعلمين ف عملية التطوير لتحفير الطلاب على استخدام اللغة العربية بشكل سليم تجعلها أشد ارتباطا بحياة الطالب اليومي".

كما أكد الدكتور صالح بن ابراهيم الخليفي مدير عام مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية، أن المؤسسة أخذت على عاتقها منذ سنوات تبني برامج دعم اللغة العربية عبر قنوات وفعاليات متعددة وشراكات دولية مع العديد من المنظمات، وقد أثمرت تلك الشراكات عن إحداث حراك واسع مما أسهم في زيادة الاهتمام باللغة العربية خصوصا في المجتمعات غير الناطقة بها. وأضاف صالح إن المؤسسة تعمل على مواصلة تطوير برامجها الموجهة للغة العربية من خلال المبادرات والبرامج الجديدة، التي تسهم في تبادل الخبرات والتعرف على أفضل المفاهيم التي تساعد الراغبين في تعلم اللغة العربية.

ومن جانب آخر، أكد فادى يرق مستشار التربية بمكتب اليونسكو ببيروت أن المؤتمر يعمل على إتاحة منصة ديناميكية لتقديم نتائج ورش العمل وعرض خارطة طريق لتعزيز اللغة العربية في التعليم وفي المجتمعات المحلية في المنطقة العربية، كما الدليل الإلكتروني للمناهج والممارسات الواعدة في المنطقة العربية, إتاحة فرصة للتعاون والمشاركة بين الخبراء والممارسين والفاعلين الأساسيين من مختلف البلدان العربية، في المشرق والمغرب والخليج العربي، الذين سيضافرون جهودهم لتقديم توصيات واقتراح إجراءات ملموسة تسهم في تعزيز اللغة العربية والنهوض بمجتمعاتها.

توزعت فاعليات المؤتمر على سبع جلسات نقاشية تناولت التمثلات والفرص والتحديات التي تواجه اللغة العربية، وتحقيق جودة التعليم، وعلاقة اللغة بالهوية والقيم، وطرق التدريس، واستعراض الدليل الإلكتروني للممارسات الواعدة في تعليم اللغة العربية في المنطقة العربية بغية بناء مجتمعات أكثر شمولاً، وخارطة الطريق لتعزيز اللغة العربية في التعليم وفي المجتمعات المحلية.

وأتاح المؤتمر فرصة عرض التجارب وامكانيات التعاون والمشاركة بين الخبراء والممارسين وممثلين القطاعات المتخصصة في مجال التربية والتعليم من المشرق والمغرب والخليج العربي مثل مكتب التربية العربي لدول الخليج ومؤسسة الفكر العربي والمركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالإضافة الى البنك الدولي ومنظمة اليونسف وعددا من الجامعات العربية الذين ضافروا جهودهم في تقديم الاوراق البحثية الغنيّة المرتبطة بتقديم رؤى متطورة في تعزيز اللغة العربية في التعليم لبناء مجتمعات أكثر شمولا, ومن هذه الأوراق: (اشكالية الازدواجية ودور تعليم اللغة العربية في تكوين ملامح المتعلم في القرن21) للدكتورة زينب طه الأستاذ بقسم التطبيقات اللغوية- الجامعة الامريكية و(المنظمة الرئيسية للمؤتمر) أشارت فيها الى أن هناك مجالات وجب علينا ان نوليها أهتماماً أكبر في المرحلة القادمة: برامج اعداد مدرسي اللغة العربية, مراجعة الأساس النظري الذي نعتمد عليه في تأليف مناهج العربية بما يضمن تحقيق الأهداف التواصلية, وصف وتوثيق للمتغيرات الأسلوبية للعربية المعاصرة وتضمينها في المناهج الدراسية بجميع المراحل, ولكن السؤال الأهم: كيف يمكن أن ننهض بتدريس الفصحى بالمدارس؟.

أمران في رأيي قادران على ذلك الأول نظرتنا للغة العربية (ومنها ينبع الأمر الثاني, طرق تدريس العربية. ما حدث حتى الآن يظهر لنا أن طرق تدريس الفصحى أثبتت فشلا متفاوتا في كافة الأقطار العربية، وتختلف النسبة باختلاف مستوى التعليم بشكل عام في هذه الدول.

في العموم, لماذا يشعر الطالب أن اللغة العربية صعبة؟ وأن نحوها قد يكون من المستحيل اتقانه، بل وفهمه في بعض الأحيان؟ لماذا يفضل الكثيرون تعلم لغة أجنبية عن تعلم الفصحى؟ هل يعتبر الطلاب أنهم ليسوا عربا لو لم يتعلموا العربية الفصحى ويتقنوها؟

وناقشت طه الازدواجية اللغوية لا على أساس أنها مشكلة ولكن على أساس أنها تحد يجب التعامل معه، أكرر أنه لا ينبغي أبدا أن ننظر إلى وجود العاميات على أنها تهديد للفصحى أو أنها انعكاس لازدواجية في الشخصية العربية وكأنها عارض مرضي يجب التخلص منه. قد وجدت العاميات، كما ذكرت، منذ وجود اللغة العربية، واستمرت في الوجود حين أخرج العالم العربي أهم وأشهر الكتاب والأدباء والمثقفين والمخترعين والزعماء، وقت تحرير الأرض وإعلان الاستقلال, وقت ظهور التطور التكنولوجي والحضاري على كافة الأصعدة.... إلى آخره. إن العامية بريئة مما قد ينسب إليها من إضعاف الفصحى وتخريب الحضارة والقيم. ما يجب أن نلتفت إليه هو أسباب تردي الأوضاع التعليمية وندرة إيجاد معلم اللغة الكفؤ والتحدي في وضع مناهج تواصلية تقوي من ارتباط الأطفال والشباب بالقيم التي يريد مجتمعهم أن ينميها. فالسياسة اللغوية هي أساس الخطة التعليمية بالمدارس. وهنا لابد من الاعتراف أن هناك طفرة كبيرة في أسلوب تأليف مناهج اللغة العربية، ونحتاج إلى تعزيز هذه المبادرة بتضمين المحتوى الذي يضمن إثارة اهتمام الناشئة وتقريب الموضوعات من اهتماماتهم العصرية.

وعلى نفس القدر من الأهمية يأتي تدريب الأستاذ الذي يعلم اللغة العربية، فلا معنى لوجود نفس الأستاذ التقليدي مع مناهج وضعت لتكون تواصلية الهدف.

كيف يمكن أن يكون تدريس العربية متعة للأطفال كما هو الحال بالنسبة للغات الأخرى؟ أليست العربية الفصحى قادرة على هذا؟ أم أن هذا سيقلل من شأنها واحترامها؟

وعن (مدخل الى بناء ثقافة الممارسات الفضلى فى هندسة مناهج اللغة العربية وبناء طرائق تدريسه) لفت د.سامى الرحمونى محاضر بكلية البحرين للمعلمين الى أن عنوان الورقة قائم على كلمات مفاتيح (ثقافة, ممارسات فضلى, هندسة المناهج, طرائق التدريس, اللغة العربية) ومابين هذه الكلمات ضربان من التقاطع الوظيفى أولهما ماثل فى اللغة العربية موضوع تعليم وتعلم, وثانيهما فى تشكل طريف للدرس جبلا من الثلج الظاهر منه آداء المتعلمين فى اللسان العربي موضوع تعلم, والمخفى منه نسيج من التقاطعات الوظيفية بين علوم مرجعية متنوعة آخرها علما النور وتربية والقراءة. فكرة الدرس وموضوع الورقة يشكلان سؤالان محوريان هما: السؤال الأول: أية ممارسة فضلى لتصميم جيل جديد من مناهج تعليم اللغة العربية وتعلمها؟ السؤال الثانى: ماهى المعايير المعتمدة لانتخاب أفضل الممارسات فى تدريس اللغة العربية وضمان تمكن المتعلمين من تعلمها؟ ثم أقترح الرحمونى خمس مبادىء منهجية: المبدأ الأول: الاعتماد فى بناء تعليم اللغة العربية وبناء مهاراتها على مرجعية علمية ثبت نجاح اقتراحاتها العملية فى الصفوف الدراسية, المبدأ الثانى: نجاح الطفل فى التمكن من اللغة العربية وأساسياتها فى بداية مساره التعلمى أمر حيوى فى المقام التعليمى التعلمى, المبدأ الثالث: كلما قرأنا أكثر تحسنت مهاراتنا القرائية أكثر, وكلما كتبنا أكثر زادت قدرتنا على الكتابة, وكلما تحادثنا أكثر تطورت مهارتنا استماعا وتحدثا, المبدأ الرابع: للمعلم الأثر الأكبر والأهم فى تعلم الطفل المعرفة القرائية,

المبدأ الخامس: للمتعلم محيط لسانى هو مورد مهم من موارد التعلم, ومنطلق لابد من معرفته حتى نبنى عليه خبرات التعلم اللاحقة, المبدأ السادس: يرتبط نجاح المعلم فى الصف بما يجده من دعم.

وأستعرض د. فتحى أحميدة خبير فى القرائية ـ الجامعة الهاشمية-الأردن (دور المكتبة المدرسية فى تطوير الأبعاد الثقافية والجمالية لدى المتعلمين) دور المكتبة المدرسية فى تعزيز تعلم اللغة العربية من خلال ما تقدمه من خدمات وأنشطة مكتبية تسهم في الارتقاء بذائقة المتعلمين ومدهم بالعلم والمعرفة، ومن تلك الأنشطة تشجيع مسابقات القراءة الحرة واستضافة الكتّاب وتأسيس أندية القراءة وإتاحة الفرصة للأطفال لمناقشة الكتب والإسهام في تكوين مهاراتهم وخبراتهم القرائية. كما استعراض أهم المشاريع التي انبثقت من المكتبات المدرسية مثل مشروع مكتبتي العربية وتحدي القراءة واقرأ بالعربية، ومكتبات الفصل باعتبارها امتداداً لمكتبات المدرسة وداعمًا رئيسًا للمنهاج.

واستعرض أحميدة النتائج التي توصلت إليها الاختبارات المعيارية الدولية (بيرلز) والتي أشارت إلى أن ثمة علاقة طردية بين توافر المكتبات الصفية والمدرسية مع النتائج المتحققة في تلك الاختبارات؛ فالدول التي نصف مدارسها أو أكثر مجهزة بمكتبات مناسبة حققت درجات عالية؛ إذ تحصّل طلابها على درجات تفوق المعدل الدولي. وخلصت الورقة إلى تقديم بعض التضمينات المتعلقة بدور المكتبات المدرسية في تعزيز تعلم اللغة العربية من خلال العمل على زيادة وعي المعلمين والعاملين في المكتبات المدرسية، والعمل على إيجاد الربط بين المناهج المدرسية وما تتضمنه المكتبة من كتب ومصادر متنوعة، وأهمية تفعيل المنصات الإلكترونية في المكتبات المدرسية والعمل على رقمنة تلك المكتبات بإدخال نظام آلي فيها، وإعادة تقييم كتل تلك المكتبات والتأكد أن ما يعرض فيها ملائم نمائيًا لمستوى المتعلمين.

الخلاصة:

وقد خلُص المؤتمر باستعراض الدليل الإلكتروني للممارسات الواعدة في تعليم اللغة العربية في العالم العربي، وتقديم مسوّدة خارطة الطريق لتعزيز اللغة العربية في التعليم وفي المجتمعات المحلية والتي كانت نتاج مثمر للطاولات المستديرة على مدار شهرين والتي ستصدر بصيغتها النهائية في اليوم العامي للغة العربية في 18 كانون الأول/ديسمبر 2023.

د. سامي الرحموني ـ البحرين

وزير التعليم المصري د. رضا حجازي

د. فتحي حميدة ـ الأردن

د. زينب طه ـ الجامعة الأمريكية

جانب من الحضور في المؤتمر

إصدارات المركز القومي المصري للترجمة

الطريق الثقافي ـ خاص

اذا كانت الوظيفة الأولى للناقد الأدب المعاصر هى أن يحدد الأعمال أو الكتاب المهمة, فسوف تكون مهمته التالية بدون شك هى تبيان أسباب أهمية هؤلاء وتللك الأعمال, وسوف يساعدنا النقاد بمرور الوقت على اكتشاف منظور لرؤية الخطوط العريضة لـ "فترات" أدبية جديدة أو "أجيال" مغايرة.

وكتاب ايهاب حسن عن الرواية الامريكية المعاصرة يساعدنا فى العثور على الآداء المشترك فى الأعمال الفنية الغير مألوفة أو الاستثنائية لجيل من الكتاب ظهر بعد الحرب العالمية الثانية, أنه أكثر الدراسات أثارة التى صادفت (المؤلف) حول هؤلاء الكتاب وتتميز بالتفصيل والشمول.

اذ يقدم منظورا يحدد السمات المميزة لهده المجموعة من الأسماء, والكتاب "براءة جذرية" دراسات فى الرواية الأمريكية المعاصرة, ترجمة السيد امام.

ويطرح الكتاب الثانى "اللوبى العربى ـ التحالف الخفى الذى يقود المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط" ترجمة نشأت باخوم, تقديم: مصطفى الفقى) تساؤلات عدة منها: هل هناك ما يسمى باللوبى العربى داخل الولايات المتحدة الامريكية؟ وهل يمثل هذا اللوبى ان وجد مصالح الدول العربية, ويعبر عنها ويقاتل من أجل تحقيقها بحق؟ ان كان هناك وجود لهذا اللوبى فما المكاسب التى حققها وما مظاهر نجاحاته ومناطق اخفاقاته؟ على هذا النحو يعد الكتاب رواية غربية لقصة ظهور وصعود اللوبى العربى والدور الذى لعبه على ولازال يلعبه فى التأثير على القرار الأمريكى. يرى الكاتب أنه ليس لدى اللوبى العربى هدف محدد بالمقارنة باللوبى الصهيونى الذى يدور حول هدف محدد له من خلال منظمة واحدة تمثله هى منظمة ايباك(لجنة العلاقات العامة الاسرائيلية الامريكية) التى تدافع عن وجهة نظر الامريكيين الذين يؤمنون أن التحالف القوى بين الولايات المتحدة الأمريكية وأسرائيل أمما يصب فى مصلحة أمريكا كما انها تمارس ضغوطها لصالح دولة واحدة هى اسرائيل.

بينما تعتبر رواية "يوم سعيد" من أهم مؤلفات كين ليبورا والذى اكتسب من خلالها شهرة واسعة, وهى من روايات السير الذاتية التى تتناول قضايا النسب, وما يصاحبها من جريمة وفساد وسحر وسرقة, وتدعو الرواية الى الصبر والتفاؤل وعدم الاستسلام كما تدعو الى التمسك بالقيم والمبادىء الاجتماعية والأخلاقية فى سرد ماتع.

والمؤلف روائى كينى من أهم كتاب الأدب السواحيلى, وله ما يقرب من أربعين كتابا, حصل على العديد من الجوائز وعمل محررا للأخبار فى شبكة K.B.C الاخبارية الكينية.

ساهرة سعيد تنقب في مصائر المنفيين

عن دار ميزر للنشر صدرت، مؤخرا، رواية الكاتبة العراقية المغتربة ساهرة سعيد، الموسومة (أرض الكنوز). تنقب الرواية عن مصائر المنفيين العراقيين، إذ تروي قصة امرأتين تلتقيان في المنفى بعد هروبهما من عسف الدكتاتورية في سبعينيات القرن الماضي. وتتخذ الرواية من معاناتهما رمزا لما تعانيه لاجئات عراقيات كثيرات من اغتراب اجتماعي ودمار سايكولوجي. وترسم صورا للعلاقات المعقدة بين شخصيات المنفيات في سياق أحداث متواترة تطرح أسئلة عن الهوية وتناقضات الحياة ومصائر النساء في ظل الحرمان والظلم الاجتماعي.

"مأساة الباخرة كوروسكو" لأرثر كونان دويل

صدر حديثا عن منشورات المحرر ترجمة عربية لرواية مأساة الباخرة كوروسكو للمؤلف الاسكتلندي الشهير آرثر كونان دويل بترجمة نرمين رشدي، وقد صدرت مأساة كوروسكو للمرة الأولى في العام 1898 ونُشرت مسلسلة قبل العام في مجلة ستراند في العام 1897، وجرى تحويلها لاحقًا إلى مسرحية في العام 1909 تحت عنوان نيران القدر. تدور أحداثها حول مجموعة من السائحين الأوروبيين يستمتعون برحلتهم إلى مصر في العام 1895. وهم يبحرون عبر نهر النيل في مركبة "كوروسكو ذات القاع المستدقة والمستديرة"، ويعتزمون السفر إلى أبو صير على الحدود الجنوبية لمصر، ومنها إلى بلاد الدراويش، قبل أن تتم مهاجمتهم واختطافهم من قبل فرقة غازية من محاربي الدراويش.

رواية "أخي ألكسي في يوتوبيا الفلاحين" لتشايانوف

عن محترف أوكسجين للنشر صدرت مؤخرًا رواية "أخي أليكسي في يوتوبيا الفلاحين"، للكاتب والسياسي وعالم الاجتماع الروسي ألكسندر تشايانوف (أعدم في العام 1937)، ترجمها عن اللغة الروسية العماني أحمد لرحبي. يعيش أليكسي كرميْنيف في روسيا السوفيتية، وهو ليس سعيدًا تمامًا هناك. إنّه العام 1921. وهو مدير أحد أقسام المجلس الاقتصادي العالمي. بعد العمل، يعود إلى المنزل ويأكل شيئًا. يبدأ بالتفكير في بعض كتّابه المفضلين: ويليام موريس، وإدوارد بيلامي، والقديس توما الأكويني، وروبرت بلاتشفورد، وعلى وجه الخصوص، هيرزن. يبدأ بقراءة هيرزن بعد تناول وجبته ويشعر أن لديه أفكارًا ساذجة حول الثورة.

رواية "بعض زهور الحرب" للويلزي ريو فلوداو ريفيل

رواية المذكرات الشخصية "بعض زهور الحرب" للكاتب الويلزي ريو فلوداو ريفيل، الحائزة على جائزة الإبداع غير الخيالي للعام 2015، صدرت مؤخرًا عن دار صفصافة في القاهرة. وتتناول حكاية رسائل وأوراق شخصية لرجل قُتل في سوريا أثناء الحرب العالمية الثانية، وتأخذ القارئ في رحلة مشوقة وطويلة، من أجل كشف وفهم حياة العم جون القتيل وشخصيته وظروف وفاته.يبدأ الراوي ليس فقط في إدراك التأثير الإنساني للحروب بشكل أكمل ولكن أيضًا في التشكيك وتتبع الروابط مع تجاربه ومشاعره في الوقت الحاضر وفي الوقت الحاضر.

كتاب "رؤيتنا للتحرير: قضية لها مستقبل"

المثقفون الفلسطينيون الكتابة في المساحات الفارغة

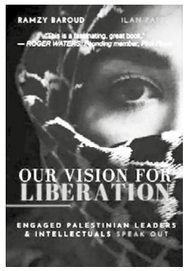

رمزي بارود

تأليف: رمزي بارود وإيلان بابيه
عرض: ديفيد فابر ترجمة: المنجي عبد العالي

الآن، وبعد أن انطلق هذا العمل السياسي التاريخي والمؤسسي وشق طريقه إلى العالم كإصدار جديد، فقد حان الوقت لتعزيز فعاليته الاجتماعية كأداة للنضال الثقافي والسياسي. لا يمكن أن يكون الثناء على المحررين والكتّاب المساهمين البالغ عددهم 32 كاتبًا كبيرًا جدًا.

لقد وضعوا استراتيجية جديدة لفلسطين وأهلها، المحاصرين بالجرائم الصهيونية المستمرة ضد الإنسانية. إنها استراتيجية لتعبئة صمود المجتمع المدني الفلسطيني، مدعومًا بالتضامن الدولي مع هذه القضية العادلة والنبيلة. إنها استراتيجية لتحقيق الحد الأقصى من التجديد الاجتماعي والسياسي الجاري مع احتمالات جيدة للنجاح.

وبما أن بارود وبابي مؤرخان منخرطان في التاريخ النضالي، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكن للفلسطينيين أن يركزوا جهودهم للمشاركة في تقرير مصيرهم، على الرغم من مقاليع وسهام الصهيونية الشنيعة في وطنهم الحبيب. إن إلهام بارود هو ضمنيا إلهام الفيلسوف السياسي الأعظم في القرن العشرين، الديمقراطي الشيوعي الإيطالي المناهض للفاشية، أنطونيو غرامشي.

جادل غرامشي بأن المثقفين بحاجة إلى أن يكونوا قادة وأن القادة الحقيقيين يغرسون ويعززون القيادة في مجتمعاتهم. وهكذا، فإن القدرة على المبادرة تتدفق عبر المجتمع سياسيا، كثورة ثقافية تبني نظاما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا جديدا. بالنسبة لغرامشي، الثورة هي عملية ثقافية، وليست مجرد لفتة مسرحية. ففي نهاية المطاف، سبق الثورة الفرنسية عمل طويل قام به فلاسفة ونقاد اجتماعيون متنوعون مثل فولتير وروسو. وكذلك ستكون "الثورة الوطنية" الفلسطينية، وهؤلاء المثقفون الـ 32 سيكونون من بين روادها.

كان غرامشي من أشد المعجبين بالفيلسوف السياسي الأسطوري في عصر النهضة نيكولو مكيافيلي، ولم يكن شفيع شكسبير الذي ظنوا خطأً أنه طعن في الظهر، بل كان رجل الدولة الجمهوري الفلورنسي صاحب المبادئ والدبلوماسي الذي عاش واقع القرن السادس عشر الصعب والمنقسم. علم مكيافيلي أن السياسة لها انضباطها وديناميكياتها الخاصة، والتي يحترمها الحكماء تحت وطأة الكوارث. من المفيد أن تكون سياسياً في السياسة، وهذا يعني خلط المثل العليا بحس عملي دنيوي حتى يمكن تحقيقها بشكل أفضل.

تمثل الثقافة الألفية القديمة لشعب فلسطين، المليئة بالقصص والغارقة في الشعر والغناء والرقص، خزانًا واسعًا من الموارد للنضال من أجل التحرر الفلسطيني. في الواقع، يشير عنوان المجموعة إلى رؤيتنا للتحرر. تتوزع هذه الأصول الثقافية والسياسية الرائعة بوفرة في فلسطين التاريخية وحول الشتات العالمي لشعبها، الذي يحملها بقوة في قلوبهم.

يمكن الإشارة هنا إلى مقال واحد تم المساهمة به من بين العديد من المقالات كمثال على الجودة العالية لهذه المجموعة. وهو من تأليف الدكتورة سماح سعباوي، الشاعرة والكاتبة المسرحية والمترجمة والباحثة المقيمة في ملبورن بأستراليا، ومؤلفة دكتوراه جامعة فيكتوريا. أطروحتها بعنوان "وراثة المنفى: الصدمة عبر الأجيال والهوية الفلسطينية الأسترالية"، حيث ركزت على مسألة الصدمة في المنفى.

تستكشف فيه تناقضات الاستعمار الاستيطاني، وهو أمر مهم للغاية في قول الحقيقة حول تاريخ فلسطين وأستراليا، والعلاقات المتشابكة بينهما.

يعشش الشتات الفلسطيني هنا في أرض تم احتلالها ولم يتنازل عنها سكانها الأصليون، وفي العام 1917 شاركت شركة Light Horse الأسترالية بشكل ملحوظ في الغزو البريطاني لفلسطين. في مساهمتها في هذه المجموعة "الكتابة في المساحات الفارغة"، تذكر ولادتها كعضو في جيل النكسة في التفاح بغزة عام 1967، حيث تم نقلها إلى مخيم أردني للاجئين ومن ثم إلى أستراليا عبر المملكة العربية السعودية، قائلة " أنا عصر المنفى».

بعد أن تجنبت بالصدفة أسوأ التجارب التي عاشتها أثناء زيارتها لفلسطين المحتلة، تتحدث الدكتورة سبعاوي عن ألم "ذنب الناجي". وبعد أن هاجمتها الصور التي ظهرت على الصفحة الأولى للفلسطينيين المذبوحين في صبرا وشاتيلا في العام 1982، تأثرت لتسأل نفسها كيف "يعيش عالمها الجديد". في أستراليا الجديدة، البلد الذي أعطاها المواطنة والكرامة والقيمة؛ كيف يمكنها أن تهتم إلى هذا الحد بحياة اللاجئين الفلسطينيين وتنحاز إلى جانب الجزارين؟

وهو سؤال لا يمكن الإجابة عليه إلا في سياق التضامن مع الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات. تتحدث الروايات الشخصية في هذه المجموعة عن جذور المساهمين في الأمة الفلسطينية، والماضي لأنها توفر دعمًا مستدامًا لرؤية المستقبل.

سيتم رسم مستقبل فلسطين تاريخياً وبالشعر، من خلال العديد من السبل الثقافية والسياسية. وكما كتب مؤرخ حيفا جوني منصور، فإن «عملية كتابة الرواية الفلسطينية هي في حد ذاتها حوار مع التاريخ الفلسطيني، أولاً وقبل كل شيء».

رؤيتنا للتحرير: القادة والمثقفون الفلسطينيون المشاركون يتحدثون علناً، رمزي بارود وإيلان بابي.
الناشر: كلاريتي برس ـ 2022

كتاب "واتساب عراقي"

حوار المعرفة والحكمة

منى سعيد

لعلها المرة الأولى والوحيدة التي يتصدى فيها شابان لمناقشة أوضاعهما الاجتماعية والثقافية والشخصية بوعي تام وبمعرفة حاذقة عبر رسائل الواتس آب ، لتظهر بكتاب مراسلات جميل حمل عنوان "واتساب عراقي" صدر أخيرا عن دار الحكمة بواقع 131 صفحة من تأليف الكاتبة والروائية والمترجمة حوراء النداوي، والشاعر والكاتب والإعلامي علي وجيه عباس.

اللافت في الأمر طريقة الكاتبين في حواراتهما وأسلوب رصد مشاعرهما بدقة وبحساسية ومستوى عال من التحليل والتفسير لكافة القضايا، على الرغم من هجرة النداوي لخارج العراق بعد ولادتها واستقرارها في الدنمارك ، ثم تعلمها اللغة العربية في المنزل بمساعدة الوالدين إلى جانب إتقان ثلاث لغات أخرى، الانجليزية والدانماركية والكردية.

تميزت كتابات النداوي بأسلوب شيق رائع ازدان بلغة عربية رصينة، وبخيال روائي غزير تغذى بتراكم معرفي هائل بكل ما يمس المجتمع العراقي والعربي على الرغم من بعدها الجغرافي، إلا أن الغرس الصالح للأسرة وخصوصا دأب الوالد بمدها بكل ما تطلب لإتقان اللغة والتنشئة الأدبية، حتى إنه اشترى لها مكتبة كاملة من بائع لبناني يبيع كتبه في إحدى دهاليز مركز المدينة في كوبنهاجن بعد أن اشتكى له تجارته الخاسرة في التسعينيات من القرن الماضي، وعدم الاهتمام بالأدب، فمن ذا سيهتم بشراء الروايات العربية الكلاسيكية من بائع مجهول، في مدينة أوروبية باردة؟!

تذكر حوراء: "كراتين عدة دخلت بيتنا، نشرت محتواها في الصالة، لأصنف نتاج كل كاتب على حدة.. فجأة بات لدي النتاج شبه الكامل لروايات نجيب محفوظ، ويوسف أدريس، وإحسان عبد القدوس، وعبد الحليم جودة السحار، ويوسف السباعي.. كانت فرحة عارمة، مازلت أشعر بطعم لذتها على لساني، ورعشتها ترقص في قلبي، كلما استرجعت تفاصيلها، فرحة مركزة وفائضة، ولها تلك العلاقة الطردية المرتبطة دوما بالعالم الذي أحب". ص 120

سعي الوالد المدهش هذا يعيد إلى أذهاننا إهمال اللغة العربية من قبل كثير من الأسر العراقية في الخارج، وتجاهلها رغم كونها وعاء الذهن وأبرز سمات الهوية، وفي الحديث عن الهوية، يذكر علي: "الكلام عن الهوية، كلام مزعج، على قدر ما يبدو ممتعا معرفيا، الأمر يشبه أن يقوم امرؤ بعملية جراحية لنفسه، وبيديه الشخصيتين، وبين أن يعبث بأحشائه، أو أن يمضي بهذه الصورة العجيبة". ص117

يطرح الكتاب قضايا مهمة وحساسة وفق وجهة نظر شبابية معاصرة بما يخص الغربة والمصاهرة مع الثقافات الأخرى، إلى جانب تفاصيل مجتمعنا العراقي وأحداثه الملتهبة في الحروب وثورة تشرين، والموسيقى والغناء والشعر والتشكيل، في خلطة سحرية مدهشة لا يمكن للقارئ أن يحيد بنظره عنها حتى يكمل الكتاب بلذة واستمتاع مع توجهات فكرية لكل ما تضمن من فلسفة وإبداع. حتى يخلص الكتاب إلى نتائج العارف المتَّبحر في كل شؤون الحياة، فيذكر علي: "الأجوبة عمياء، وحدها الأسئلة التي ترى.. عالم بلا فن هو عالم جامد، عالم بلا أسئلة هو عالم إجابات مغلقة، عالم بلا تأويل هو صخرة دون حتى تنويعات لونية"، ويذكر أيضا: بالمحصلة النهائية لا خلاص إلا بالفن، أعني الخلاص الفردي، فالخلاصات الجماعية نادرة في التاريخ ، وتكاد تكون معدومة؟".

وتذكر حوراء: "الأشياء البرينة والساذجة، تفسدها المعرفة إلى الأبد.." ثم تضيف "غير أن التراكم المعرفي، كان سيولد تغييرا لا محالة، حتى وإن تم ببطء، أول الأصنام التي تهشمت في داخلي، كانت الصور النمطية بالمجمل، ما جلب معه تفنيدا لكل تلك المعتقدات الضخمة التي ظننتها في السابق مسلمات، واكتشفت أنها مجرد قصور من قش، تطايرت مع أول هبة ريح". ص 127-126

"العدالة والحريَّة في فجر النهضة العربية الحديثة" عن عالم المعرفة

الطريق الثقافي ـ خاص

صدر حديثًا عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت، العدد 507 لشهر يناير 2024 من سلسلة عالم المعرفة بعنوان "العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة"، للدكتور عزت عبدالرحيم قرني، أستاذ الفلسفة اليونانية. الكتاب يرصد أعمال أدباء من امثال رفاعة الطهطاوي والأفغاني وخير الدين التونسي وأديب اسحق وغيرهم، ممن نادوا جميعا وبشكل صريح بحق الشعوب في الحرية والعدالة. كما يرصد الكتاب المشكلات التي جابهها هؤلاء الرواد منذ أكثر من مائة عام ولا تزال، في جوهرها، هي ذاتها المشكلات التي نواجهها اليوم. الكتاب هو واحد من الكتب القليلة المنشورة بالعربية التي أفردت مساحة واسعة للبحث المتأني في طروحات رواد الفكر الحديث، ويتناول قضية ذات صلة وثيقة بعصرنا الحديث، على الرغم من بعض الاختلافات في الاصطلاح اللغوي أو طريقة التعبير

سحب كتاب "التطهير العرقي في فلسطين" للمؤرخ الإسرائيلي إيلان بابِه

الطريق الثقافي ـ خاص

سحبت دار النشر الفرنسية "فايارد" العريقة كتاب "التطهير العرقي في فلسطين" للمؤرخ الإسرائيلي إيلان بابه والذي يعد أحد الأعمال المهمة التي تناولت الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وكانت "فايارد" قد نشرت كتاب بابه في العام 2008 ، لكن منذ 7 تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي قررت الدار سحبه من العرض والتداول، ولم يعد بإمكان المكتبات والمواقع المتخصصة طلب أعمال المؤرخ الإسرائيلي، مع إشارة تقول إن الكتاب المذكور أوقف عن التسويق بصفة دائمة، كما كشفت وسائل الإعلام. وتقول فايارد، إن السبب شكلي، وعزت المسألة لانتهاء العقد مع المؤلف في 27 شباط/ فبراير 2022، لذلك أوقفت العقد رسميا في 3 تشرين الثاني/نوفمبر الماضي. لكن السبب لا يبدو مقنعا خاصة وأن نسبة مبيعات الكتاب قد ارتفعت في الأسابيع الأخيرة منذ بدء الحرب في غزة. وهنا تكمن المفارقة، إذ أنه على الرغم من الأرقام المسجلة، قررت دار النشر سحب الكتاب.

ضوء

"النظرية السكانية" Population Theory

نظرية عنصرية يتبناها عدد من السياسيين الأوروبيين اليمينيين المتطرفين، والذين وصل بعضهم في السنوات الأخيرة إلى البرلمانات المحلية والقارية، مثل مارتن بوسما الرئيس الحالي للبرلمان الهولندي عن حزب الحريَّة اليميني الشعبوي المتطرف. وهي نظرية مشبوهة تروج في طروحاتها بشكل متكرر لإعادة السكان من غير الأوروبيين إلى بلدانهم الأصلية، وتلقى رواجًا من قبل المتعصبين البيض الذين يزعمون أن السود والمهاجرين يهددون ثقافتهم. يصف عالم الاجتماع جاكوب بويرسيما كيف أصبحت هذه النظرية التي يبلغ عمرها مائة عام سائدة في العقود الأخيرة، وكيف تستند بالدرجة الأساس إلى تعاليم مجموعة تطلق على نفسها اسم "حياة البيض مهمة" وكتاب "الاستبدال العظيم"، المعروف في هولندا باسم "نظرية إعادة السكان"، والتي تلقى صدى لدى السياسيين اليمينيين المتطرفين وتكتسب شعبية متسارعة.

بحوث جدلية في كتب

نظرات استشراقية

التفاصيل ملخص جدول المحتويات
مجموعة دراسات حول العصور القديمة، بشأن (إعادة) اكتشاف المواقع الآشورية من خلال علم الآثار، والاهتمام الهائل الذي لاقته في أوساط الأوروبيين الذين لم يعرفوا سابقًا عن هذه المدن إلا من خلال نصوص الكتاب المقدس.
تتحدى النتائج الجديدة التي يقدمها الكتاب الخطابات السابقة بشأن المنطقة التي كانت متداولة في أوروبا في ذلك الوقت. ومحاولة توسيع نطاق تقبلها تبعاً للخطاب السائد حالياً. يركز الكتاب في فصول عدّة على التفاعل الخطابي بين إعادة الاكتشاف نفسه ومعالجته في السياسة والهندسة المعمارية والفن. وطالما شكلت الحفريات الأثرية وعلم الآشوريات نظامًا أكاديميًا جديدًا.

الغلاف: مجلد ورق مقوى
عدد الصفحات: 221 صفحة
الرقم الدولي: 978-3-96327-250-9
السعر: 75.00 دولار
الناشر: زافون

ياجوج و ماجوج

التاريخ العالمي لرؤية نهاية العالم

تحرير: جورج تامر وأندرو مين
لقد احتلت قصة قوة الشر الجماعية المعروفة باسم يجوج ومجوج خيال الكثير من البشر ودياناتهم المختلفة، كاليهود والمسيحيين والمسلمين لآلاف السنين، ووجدت تعبيرًا عنها في الأعمال الأدبية والعلمية وغيرها من الأعمال الفنية والثقافية الأخرى.
يجمع هذا الكتاب الأوراق والدراسات والأبحاث الخاصة بمؤتمرين عقدا في جامعة إرلانجن ـ نورمبرغ في ألمانيا كتبها علماء ومؤرخون وباحثون أكاديميون، تتراوح بين التاريخ والدراسات الدينية وتاريخ الفن، وهو العمل الأكثر شمولاً بشأن هذا الموضوع الشيق والمثير للجدل عبر العصورحتى الآن، طالما استقى منه كتّاب الخيال العلمي قصصهم.

السعر: 129,00 يورو
الناشر: دي جروتير
عدد الصفحات: 464 صفحة
الرقم الدولي: 9783110720235
الغلاف: مجلد

altareek althakafi
الطريق الثقافي
No. 133
مدير التحرير
محمد حيّاوي
m.shather@gmail.com
www.tareekthakafi.com
التصميم Sillat Media
مسجلة بدار الكتب والوثائق بالرقم 2632 لسنة 2023
10 كانون الثاني/ يناير 10 Januray 2024

متحف الرسام ديفيد هوكني

الطريقة الأمثل التي صوّر بها البشر العالم

مارتن جيفورد

ترجمة: خنساء العيداني

ديفيد هوكني (1937) أحد أكثر الفنانين البريطانيين شهرة وشعبية في القرن العشرين؛ فمنذ 60 عامًا، كان يكسر الحدود بين الرسم والتصوير والطباعة والفوتوغراف والفيديو، وكان مفتونا بالأشخاص والأماكن وفن الماضي؛ فلا حدود، والأساس الفن فقط، فقد كنا نتحدث عن الروابط بين الشرق والغرب، بين المطبوعات الخشبية في اليابان ولوحات فان جوخ أو أفلام والت ديزني، وهي ملاحظة تنطبق على هوكني نفسه.

لقد تجول حول العالم، وزار عددا مذهلا من الأماكن المختلفة فكان المعرض الاستعادي الذي اقامته قاعة تيت في بريطانيا يوضح هذه النقطة: الهرم الأكبر مع شجرة النخيل والسيارة 1963، ساحة الشرائع، بيروت 1966، قاسمين في سريره في قصره كارياناك 1967، دراسة المياه، فينيكس أريزونا 1976، جبال وأشجار كويلين من رحلة الصين 1981. لقد كان فنانًا مسافرًا دوما.

إن الخط الذي ينطلق منه هوكني ليس أقل مما يحب أن يطلق عليه «تاريخ الصور»، وهو يعني مجموعة كاملة من الطرق التي صور بها البشر العالم بدءًا من زمن فناني الكهوف وحتى تقنيات الرسم الرقمي، فكان (متحفه) الداخلي اشكال الصور التي يتذكرها ويعتمد عليها فكان ينتقل من إضاءة أحد أفلام هوليوود إلى تكعيبية خوان جريس، أو لوحة القبر المصرية.

لقد كان تأثيره عالميا؛ فقد وصفته مارلين دوماس: "أحد الرسامين العظماء في القرن العشرين"، وتحدث الرسام الألماني جورج باسليتز عن تأثير أعمال هوكني المبكرة عليه: "لقد أعجبت بشدة بأعمال هوكني في نهاية فترة وجوده في الكلية الملكية، انه رائع، مذهل، خيالي"، فعلى النقيض من عقيدة مدارس الفنون في ألمانيا الغربية، والتي ترى أن التجريد فقط هو الصالح في العصر الحديث، كان هذا دليلاً مذهلاً على فاعلية الرسم التصويري.

لقد مُنح هوكني في موطنه الأصلي مرتبة "الكنز الوطني" كونه متجذرا بعمق في المناظر الطبيعية الأصلية؛ ويتذكر وهو في الثامنة عشرة من عمره انه عاد لرسم المكان الذي رآه لأول مرة عندما كان مراهقًا، ويتحدث كثيرًا عن سنواته الأولى في برادفورد: الرحلات إلى السينما (أو بالأحرى "الصور")، والغياب النسبي للظلال في المناخ الملبد بالغيوم. من شمال إنجلترا، يختلف تمامًا عن كاليفورنيا، حيث كان لديه أسس الحياة القديمة والشاملة في كلية الفنون المحلية. كل هذا كان تكوينيا.

كان هناك دائمًا سياق أوسع، كان هوكني يبحث ويفكر فيه؛ فأول لوحة عظيمة رآها مستنسخة كانت البشارة للمعلم الفلورنسي فرا أنجيليكو في القرن الخامس عشر، فكان تأثيرها عليه دائمًا، وبمجرد الحصول على هذا الدليل، ليس من الصعب رؤية الأشكال الواضحة والألوان الواضحة والمشرقة في لوحات هوكني مثل الجامعون الأمريكيون (فريد ومارسيا وايزمان) عام 1968.

كانت لوحة معمودية المسيح العظيمة التي رسمها بييرو ديلا فرانشيسكا في القرن الرابع عشر بمثابة محك آخر، ويمكن رؤيتها خلف شخصية صديق هوكني هنري جيلدزهلر في النظر إلى الصور على الشاشة (1977)، وتظهر مرة أخرى في فيلم والدي (1977) كنسخة مثبتة على الحائط وتنعكس في المرآة (جنبًا إلى جنب مع بعض الأقمشة التي قام هوكني مؤخرًا بتركيبها وتم الكشف عنها)، وهي مراجع خاصة تم تسريبها إلى اللوحات، ربما بشكل رؤى عما كان يدور في ذهنه في ذلك الوقت. توفر الصور الإضافية المثبتة في "النظر إلى الصور على الشاشة" قائمة مختصرة لبعض أبطال الرسامين الآخرين للفنان: فيرمير، وديغا، وفان جوخ.

ومع ذلك، فإن عصر النهضة لم يكن سوى جزء من منطقته النائية الجمالية الشاسعة. سافر إلى لندن (1958) لمشاهدة المعرض الأول لأعمال جاكسون بولوك في بريطانيا، في معرض وايت تشابل للفنون. في لوحات هوكني المبكرة، لا يمكنك رؤية الفرشاة المتناثرة والفضفاضة للتعبير التجريدي فحسب، بل يمكنك أيضًا رؤية الاقتراضات من التجريد الصارم الذي جاء بعد ذلك (1963)، أحدثت مجموعة من أتباع هذا الاتجاه البريطانيين تأثيرًا كبيرًا من خلال عرض يسمى (Situation in London). كان هذا النمط مشتقًا من بارنيت نيومان بدلاً من بولوك، ويتميز بأشكال مسطحة محددة بوضوح.

في أوائل الستينيات، كان هوكني يتجول بالفعل حيث قام بتجميع لغة مميزة فانجز صورة محاطة بأجهزة فنية (1965) هي مختارات بصرية من عصر النهضة إلى أواخر الحداثة، وكتل تشبه ماتيس بألوان نقية، وانعكاس الضوء في الرسم الوهمي الذي يحول كتلة من الأشكال المستطيلة الرمادية إلى تعويذة! - في كومة من الأسطوانات، رجل جالس يرتدي بدلة وربطة عنق، مرسومة بشكل حاد، وإلى اليمين يوجد مستطيل يشبه صورة على الحائط، كتلة من ضربات الفرشاة البنية؛ فيخلق القوس والظل الواحد إطارًا فضائيًا مثل تلك التي استخدمها فرانسيس بيكون في لوحاته في الستينيات.

ديفيد هوكني (1937)

الانتباه للتفاصيل

لقد شغل الكثير مما نفعله ونشعر به ونخافه الفنانين لقرون عدّة. فرسموا ومحوا وخبأوا.

في المعنى

محمد حيّاوي

الديك موريس والحق في الصياح

أقر البرلمان الفرنسي قانونًا يحمي حقّ الديكة في الصياح كما يحلو لها في الأرياف، ويهدف قانون "أصوات وروائح الريف" الجديد إلى توفير المزيد من الحماية للمزارعين من السكان الوافدين حديثا من المدن إلى الريف.

ويبدو أن سكان المدن الذين ينتقلون إلى العيش في الريف الفرنسي، يتذمرون بكثرة من صياح الديكة، ونباح الكلاب، وضجيج الآلات الزراعية، ورائحة السماد، فمن عطور شانيل وإيف سان لوران، وأغاني أديث بياف، يشنف أسماعهم في الريف خوار الأبقار غير المحلوبة ونباح الكلاب، ويقض مضاجعهم صياح الديكة الفرنسية الفصيحة التي تتمتع بمكانة خاصة في بلاد الأفرنج على ما يبدو، إلى درجة أن الفريق الوطني اتخذ رمز الديك شعارًا.

وبالعودة إلى القانون الذي جرّد الوافدين من المدن الدعم الكافي لتقديم الشكاوى بحجة الضجيج والفوضى. فقد تبناه البرلمان الفرنسي بدعوى (الحد من النزاعات بين الجيران وتجنب الدعاوى القضائية المسيئة لسكان الريف)، بأغلبية 78 صوتًا مقابل 12، وسيحال الآن إلى مجلس الشيوخ لإقراره بشكل نهائي.

وغرّد وزير العدل الفرنسي إريك ديبون موريتي على حسابه في منصة "إكس" قائلا: "سيضع القانون حدًا للدعاوى القضائية التعسفية ضد المزارعين الذين لا يقومون بشيء سوى ممارسة عملهم بإطعامنا. إنه اقتراح منطقي وسليم على الجانب الريفي".

الطريف في الأمر أن اليونسكو سبق وأن أعترفت بما أسمته "التراث الحسي للريف الفرنسي". لكن "قانون الديك موريس" هذا يعد نقلة نوعية إلى الأمام باتّجاه الحق في الصياح، ولا أدري إن كان الأمر ينطبق أيضًا على البشر أم لا، في حال رغبوا بالصياح، أقصد على الأقل للتعبير عن الألم أو الحيف أو قانون نتخابات مضحك أو ما شابه، ومن وجهة أخرى فأنّ ضمان حق الصياح للبشر، للتعبير عن تطلعاتهم، من دون أن يقتلهم الطرف الثالث، لهو أبسط الحقوق الواجب توفرها. على الأقل لتقول السلطات والأحزاب الحاكمة بأنّنا نحترم أيضًا "التراث الحسي" للشارع العراقي!

يُذكر أن رجلًا إستاء من ديك جاره وصياحه في الصباح الباكر، الأمر الذي حرمه نومة الفجر الهنية، فصار يلح على جاره ـ صاحب الديك ـ للتخلص منه، والأخير يتملص، لأنّه يدرك أن للديك الباسل مهمة أخرى لا تقل أهمية عن الصياح، ألا وهي تلقيح الدّجاجات، ومن دون ذلك لن يحصل على البيض الطازج صباحًا، لكن ما أن سقط النظام، واتضح أن للرجل المنزعج من الديك مكانة لدى الأحزاب الجديدة، أضطر جاره المسكين إلى صنع حساء من ديكه ودعوة جاره على العشاء، وهكذا ارتاح الرجل من صياح الديك وتمتع بلحمه. لكن المشكلة في الصباح التالي، عندما صحا الرجل على صياح مئات الديكة في المدينة، ولم يعرف إن كان ذلك بسبب صدور القانون الفرنسي، أم الإنفلات "الحسي".